منتدى الوثّاب للشعراء والكتاب
الكتاب الثالث

مرفأ الحكايات

قصص قصيرة

تحرير ومراجعة :

د. شهاب غانم
د. نعيمة الغامدي   أ. جميل داري

مرفأ الحكايات

مرفأ الحكايات

تأليف مجموعة من المؤلفين

تحرير: د. شهاب غانم

د. نعيمة الغامدي

أ. جميل داري

لوحة الغلاف: د. عمر عبدالعزيز

الطبعة الأولى 2020

ص 180؛ 14×22 سم.

الرقم الدولي: 978-9948-25-049-4

الموافقة على الطباعة

رقم الطلب: MC-10-01-6535959

التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية

التي تلائم محتوى الكتاب وفقاً لنظام

التصنيف العمري الصادر عن:

المجلس الوطني للإعلام – الإمارات

جميع الحقوق للمؤلفين والمحررين©

نبطي للنشر

منتدى الوثّاب للشعراء والكتّاب

الكتاب الثالث

مرفأ الحكايات

قصص قصيرة

تحرير ومراجعة:

د. شهاب غانم

د. نعيمة الغامدي

أ. جميل داري

إهداء

إلى أعضاء المنتدى

وعشّاق القصة القصيرة

نهدي هذه الباقة المتنوّعة من القصص

مقدّمة

هذا هو الكتاب الثالث الذي يصدر عن "منتدى الشعراء والكتاب" الذي تأسّس في مارس 2017م كمجموعة في "واتس أب" أو –ما يترجم لدى بعضهم بالوثاب– ضمّت آنذاك نحو 66 شاعرًا وأديبًا ومثقّفًا معروفًا وشخصيّة عامّة، وقد أصدر الملتقى في فبراير 2019 ما نعتقد أنه أول كتاب يصدر ورقيًّا عن مجموعة وثاب، وكان بعنوان "شموع ذات ألوان" شارك فيه 33 شاعرًا من أعضاء المنتدى بثلاث وثلاثين قصيدة مختلفة الأشكال بين عمودية وتفعيلية ونثرية، تتناول موضوعات مختلفة، وقد نشر الكتاب مع ترجمة إلى الإنجليزية للقصائد قام بها 8 من الأعضاء، بعضهم من الشعراء أنفسهم، وبعض القصائد ترجمها أصحابها، كما حرر الكتاب 3 من الأعضاء. ثم قُدّم الكتاب في ندوة ضمن مهرجان طيران الإمارات للآداب في دبي في مارس 2019م، كما كتبت عنه عدّة صحف محلّيّة وعربيّة، مثل الأهرام المصرية وبعض الصحف الأجنبية .

بعد الانتهاء من تلك التجربة الأولى من نوعها ارتأى الأعضاء – وقد بلغ عددهم 71 عضوًا يومئذ – الاستمرار في تجربة تأليف ونشر

كتب مشتركة بأقلام الأعضاء بتقديم كتابٍ ثانٍ يتناول موضوعي التسامح والسلام؛ لأنه كان موضوع الساعة، بل نجد أنّ دولة عربية كالإمارات قرّرت أن يكون عام 2019م عامًا للتسامح، وكانت قد وقعت في أبوظبي وثيقة "الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" في 4 فبراير 2019م من قبل شيخ الأزهر الشريف وقداسة البابا تحت رعاية دولة الإمارات العربية المتحدة.

لاشكّ أنّ ذلك كان في حدّ ذاته حدثًا تاريخيًّا كبيرًا.

صدر الكتاب الورقيّ الثاني بعنوان "إبداعات عربية في التسامح والسلام" في أكتوبر 2019 عن "ندوة الثقافة والعلوم" وقد شارك عدد من الأعضاء بثماني عشرة مقالة ودراسة عن التسامح والسلام. كما شارك بعض الشعراء والشاعرات من الأعضاء باثنتي عشرة قصيدة، وشارك بعض المترجمين والمترجمات بستّ قصائد مترجمة عن لغات أجنبية. وقد أطلق الكتاب الثاني في معرض الشارقة الدوليّ للكتاب في نوفمبر 2019، وكان ذلك ضمن إطلاق أكبر عدد من الكتب في يوم واحد، وكان مندوبو موسوعة جينيس للأرقام القياسية حاضرين وسجّلوا ذلك .

واليوم وقد بلغ أعضاء المنتدى 84 عضوًا، نصدر هذا الكتاب الثالث عن دار "نبطي للنشر"، وهو عبارة عن 24 قصة قصيرة باللغة العربية لأربعة وعشرين عضوًا، مرتبة أبجديًا حسب الاسم الأول للكاتب. تختلف القصص في طولها وموضوعاتها والمدارس التي تنتمي إليها.

كما ننوي إن أمكن إصدار كتاب آخر يحوي ترجمة إلى الإنجليزية لهذه القصص، يقوم بها أعضاء من المنتدى .

في الختام أودّ أن أعرب عن جزيل شكري لكلّ الأدباء الذين شاركوا في تقديم موادّ هذا الكتاب، وأشكر بشكل خاص الدكتورة نعيمة الغامدي لجهدها في المساعدة في جمع القصص وتحرير الكتاب، وللأستاذ جميل داري في تصحيحه ومراجعته، وللدكتور عبد الحكيم الزبيدي لمشاركته في مراجعة الكتاب و إخراجه.

والله وليّ التوفيق .

د. شهاب غانم

المحرّر العامّ

يونيه 2020

القرنفلُ

إخلاص فرنسيس

كلَّ مساءٍ في طريق العودةِ يحملُ بيده معولًا علاه الصدأ، وزهرةَ قرنفلٍ.

يمرّ ببابها، يلقي تحيّة خجولة، يترك لها الزهرة في يدها مع ابتسامة رقيقة، ويمضي في طريقه.

كانت بوّابة الخروج والدخول بالنسبة له بوّابة لدخول معبد، وكان الصباح والمساء موعدًا غراميًّا لعاشق مع معشوقة سمراء، وكانت شمس الظهيرة ملاذًا لقلبه الذي بلهفة مشتعلة يطالبه باستراق النظر، من خلف العديد من نصب الرخام المحفورة عليها أسماء وتواريخ ميلاد ونهايات عمر...

يجتاز كلّ مساء الكشك الخشبيّ الموازي لمكان عمله في مقبرة المدينة، أسمر، لوّحته شمس ذلك الصيف الحارّ، مفتول العضلات، هادئ القسمات، عميق العينين الناطقتين بقصيدة حبّ.

عمله الاهتمام بحدائق المقابر، ريّ الأزهار، وحفر القبور، وتنظيف الرخام الأبيض، وجمع أوراق الأشجار المتساقطة...

في عينيه صمت القبور، لطول الوقت الذي يقضيه هناك. ابتعد عنه

لفيف من البشر لإيمانهم الخرافيّ بجلب النحس لكلّ من يتكلّم معه، شابّ كيف انتهت به الأيام هنا؟ لا أدري، لكنّه هنا الآن، وهذا الأهمّ.

جملة دارت في ذهنها مئات المرّات، صبيّة في العشرين، غجريّة الملامح والأطوار، رقيقة الابتسامة، كأنّها استمدّت من الورود رقّتها ودلالها ورونقها، وعينان مسافرتان في رحلة لا نهائيّة إلى عالم بعيد . مثلها مثل باقي الناس لغزًا هو كان بالنسبة لها، والأكثر والأشدّ اندهاشًا زهرة القرنفل التي كان يتركها كلّ يوم، لتنام في حضن يدها..

جمعت كلّ ما لديها من شجاعة يومًا، وصمّمت على السؤال وكان.

أبيع الورد والفلّ طوال النهار، وأنت تعود لي بزهرة كلّ مساء، أعرفها حين تستقرّ في يدي، تهمس في دواخلي: أنا عدت، لن تستطيعي التخلّص مني، من أنت؟ وما السرّ الكامن خلف هذا القرنفل؟

القرنفل كما كلّ الزهور قال، له الكثير من المعاني التي تخاطب الروح، أنت تبيعين القرنفل زينة أعراس وأفراح وزينة للقبور، أبيعها، نعم قالت، لكن لم يهدني يومًا أحد زهرة، أشبكها في شعري، أو أتزيّن بها كأيّ أنثى، وأنت تأتيني بعد يوم طويل تقضيه مع الموتى، تشبك في شعري زهرة قرنفل، وتمشي في سبيلك دون كلام، كأنّ الموت

خطف منك اللسان.

توقّفت قليلًا، ما عساها تقول وقد رأت ذاتها مثل باقي البشر لا ترى فيه إلّا الموت فقط، ولا ترى الإنسان، فتجفل لما دار في فكرها، وتصمت.

أمّا هو فيبتسم، كم هو جميل عندما يبتسم، وكم تفيض تلك العيون بنبع حياة.

أين شبح الموت إذًا، ولِمَ الخوف كان يستولي على قلبها كلما رأته؟ الخشية تُربكها وهي تأخذ منه زهرة القرنفل لا إراديًّا ودون أن تدرك، وتشبكها في شعرها استجابة لصوت داخليّ عميق يقول: ضعيها في شعرك كي تزدان من جمالك، وتنبثق منها الحياة. تقول: كيف تتكلّم عن الحياة وأنت بين الموتى تقيم؟ وأنّى لك أن تبتسم، وكيف؟ وأنت ترى بأمّ عينيك أفواج البشر من النائحين والثكالى والنفوس الكليمة، كيف تعيش الموت كلّ يوم عشرات المرّات؟

دعيني أصحّح لك المعلومة، استطرد قائلًا: أنا لا أقيم مع الأموات ولا بينهم بل أعيش الحياة في مقبرة، أولئك البشر الذين ترينهم يكافحون بأقصى ما لديهم، يحاولون جاهدين أن يجمّلوا القبور بالزهور، وينفقون الغالي والرخيص على الألواح الرخامية من نقش وكلمات، إنّهم يهابون الموت كثيرًا، لأنّهم لا يرون فيه إلّا نهاية

الأشياء، أو نهاية الحياة .

أراد أن يُكمل، لكن حجبت الكلام عينا الصبية المغرورقتان بالدموع.

سكت ممسكًا نفسه عنوة، وحمل رفشه، ومضى في طريقه بابتسامة كشفت خبايا قلبه، وتركت جزءًا منه بين يدي الصبية التي راحت تلاعب زهرة القرنفل الحمراء، وتداعب شقيقتها البيضاء من البارحة، وتعجّبت أنّ لون الزهور كان يختلف كلّ يوم، أرادت أن تسأله، لكنّه كان قد اختفى عن بصرها.

انتظرت اليوم التالي بشغف، لتعرف حكاية الألوان وقصّة الموت والحياة بين القبور.

كما عوّدها أتى حاملًا بيده زهرة قرنفل بيضاء، ألقى التحيّة بابتسامة تشعّ بنور غريب، شكرًا قالت، وزرعتها في شعرها، وسألته: ما رأيك؟ تلعثم، لم يستطع الإجابة، فاجأه السؤال الذي بدون موعد، لا يعرف بما يجيب. وبالمناسبة أردفت قبل أن ينطق بحرف: هل الموت شيء سوى ساديّة النهاية؟ ما زلت أفكر بكلامك من يوم أمس. من لا يعرف الحبّ يكن الموت له نهاية وخيمة، ومن أدركه الحبّ أدرك أنّ الموت هو البداية.

ليس هناك أيّ شيء يعطي ثمرًا إن لم ندفنه في الأرض أولًا.

الزهور مثلًا أين جذورها، ومن أين تستقي الحياة؟ هي مدفونة تحت التراب، مختفية عن النور، تعمل في صمت، تمتصّ من التراب الغذاء، لتبثّ الحياة في القرنفل، الحبّ، نعم الحبّ يا صغيرتي.

القرنفل الأحمر هو الحبّ، والأبيض هو الطهارة، وأنتِ منهما نبض أتمنّاه لأستيقظ، وتستيقظ الحياة في جنّة الحبِّ.

الدروازة

ثريا العريّض

الأماكن العتيقة بكلّ أحداثها تتسرب إلى أعماقنا، وتنصب لنا كمائن لا مرئيّة.

أحيانًا تنبعث أطياف الطفولة بمناماتي، وتتسرّب إلى قصائدي .. تاريخ مسجّل في تلافيف الذاكرة .. الستائر التي تهفهف من وراء نوافذ الجيران نصف المفتوحة، وكأنّها تومئ بخجل لعابري الشارع .. رائحة الرمل المختلط بإغواء البحر نبني منه قصورًا و قلاعًا..

أكوام المحار المتجمّعة خارج بيت جدّي حيث ركن الطواويش حصيلتهم منها بعد موسم الغوص ..تعرّجات الأزقّة الشعبيّة و الجدران الخشنة.

فناء منزل العائلة مكتظٌّ ببنات و بني الأعمام و الخالات .. دروازاته و بواباته تفتح على شوارع مختلفة. بوابات ضخمة تستوعب جملًا أو عربة لولا أنّها مقفلة من الداخل ما عدا طاقة صغيرة لها باب نستخدمه للعبور..

يقولون: إنّ الخرائط القديمة لمواقع خطانا الطفولية تبقى في الذاكرة، هذا صحيح.

أحمل في ذاكرتي خارطة للمنامة القديمة، يتصدّرها "فريج الحطب "
..
أحلامي تؤكّد ذلك، وكوابيسي أيضًا.
أحلم بالأزقّة والبحر والفراشات وسدرة النبق والمدرسة..
بيني و بين البحر علاقة عشق منذ اكتشفته.
لم يكن البحر بعيدًا عن بيتنا . كنت أستطيع أن أمشي إليه في ربع ساعة مرورًا بمصنع الثلج .. و لم يكن مسموحًا لي أن أفعل، لذلك لم أخبر أحدًا بزياراتي السرية للبحر.

لكنه كان أبعد من المسافة إلى مدرستي " عائشة أم المؤمنين" و بيت خالتي نصرة وعمّي سالم.
ربما كنت وقتها في السابعة أو الثامنة من عمري.
عمّي سالم -رحمه الله- كان مفضّلًا عندي، يمنحني مئة فلس حين أحييه وأنا في طريقي إلى المدرسة.
لم أبح له أنني أفرح حين أراه، لأنّ المتسوّل الأشعث الذي يستند إلى جدار المدرسة يوميًّا مادًّا ساقيه العجفاوين المفرطتي الطول و السواد والنحافة مواجهًا الزقاق الذي يؤدي إلى بيتهم يرعبني كثيرًا .
كان دائمًا شبه عار، أخافه كثيرًا، لأنّه حين يخلو الشارع من العابرين سوى طفلة وحيدة مضطرة للاقتراب من موقعه للوصول إلى

مدرستها كان يكشف عورته متهيجًا مستمتعًا برعبها الواضح.
كنت أطمئن نفسي أنّ بيت خالتي نصرة وعمّي سالم قريب، ويمكنني أن أحتمي به. حيث بيت عمّي سالم وخالتي نصرة كان في نهاية زقاق طويل بجانب المدرسة.
لكنّي لم أبح أبدًا لعمّي سالم أو لأبي أو أمي بما كان يفعله المتسوّل المرعب.
بعد المدرسة كنت أبحث عمّن ألعب معه من الصغيرات.
كنت ألعب أحيانًا مع نعيمة التي تسكن في الجوار، وتبيع جدّتها المخلّل من صنعها، وأحيانًا مع سلوى بنت ناطور المدرسة الذي كان أيضًا يعمل حارسًا لدار السينما بعد انتهاء دوام المدرسة.
منعت من اللعب إلّا مع قريباتي بعد أن أقنعتني سلوى بمرافقتها إلى عرض السينما النهاريّ بعد ظهر الإثنين بدلًا من العودة إلى المنزل .
لذا صرت أزور بيت خالتي نصرة أكثر..
كنت في الطريق إليه عبر الزقاق الخالي حين التفتّ متوجّسة أنّ خطى تتبعني ..
كان هناك رجل يمسك بعصا يتعكّز عليها، و ينادي مكرّرًا: " يالله من مال الله."

كان كفيفًا مغلق العينين. اطمأننت أنّه ليس شحّاذ المدرسة المرعب، وعدت أواصل عبور الزقاق إلى بيت خالتي. شيء في صدى خطاه ورائي أقنعني أنّه يقترب مني .. صرت أسرع، وهو يسرع ورائي .. أخذت أركض، وأسمعه يركض ورائي .. التفتّ إليه، لم يكن يتعكّز على عصاه، ولا كان مغلق العينين بل كان يحدّق فيّ، ويمدّ يده.

وصلت باب بيت خالتي وأنا أسمع أنفاسه اللاهثة بوضوح، وأكاد أحسّ حرارتها على رقبتي .. أخذت أطرق الباب بمطرقته النحاسية بتكرار مستميت .. أحسست أنني سيغمى عليّ، الدروازة المقفلة أمامي، وأنفاس الشحّاذ الساخنة ورائي..

ربما كانت مجرّد ثوان، لكنّها بدت لي دهورًا طويلة.

بدأت ركبتاي ترتجفان، و جفّ فمي تمامًا.

أحسست بالدنيا تدور بي، وظللت أقرع الباب.

فجأة فتحت الطاقة الصغيرة في الدروازة، وأطلّت مريم العجوز التي تعمل في بيت خالتي، و هي تحتجّ : "كدت تكسرين الباب" ولا أعرف كيف استطعت أن أفتح فمي لأحاول أن أقول: "هذا الرجل، هذا الرجل كان يحاول أن .." ربما لم تسمعني، فقد عاد يشحذ بصوت عال مكرّرًا: " يا الله، من مال الله".. نظرت إليه مذهولة،

كانت عيناه قد عادتا مغمضتين.

أدخلتني وعادت إليه بصدقة..

لم أعد أذهب إلى بيت خالتي نصرة إلّا برفقة أمّي، ولا إلى المدرسة إلّا متشبّثة بيد أختي الأكبر مني.

كبرت، و نسيت، وظلّ الرعب الكامن يستوطن ذاكرتي، هلع غير مفهوم من الشحّاذين و الأزقّة.

ثمّ كلما تعرّضت لضغوط ما زارتني كوابيس الدروازة دون أن أفهمها.

حين أيقظني زوجي مرارًا من كابوس أتصارع فيه مع خطر عدوّ مجهول أمام بوّابة أحاول صدّه عنها، و دموعي تنهمر .. تذكرت تفاصيل ما حدث لطفلة السابعة.

عرفت أنّ رعب الطفولة ينفلت من تلافيف الذاكرة في كوابيس لا نفهم لماذا تطاردنا.

هامش:

الدروازة: البوابة في بعض اللهجات الخليجية وأصلها فارسية وتستخدم في الأوردية والهندية

حَدَثَ على أريكة الزِّفاف

جاسم الصحيّح

(لا تعلم يا حبيبي إلى أيِّ مدًى سوف أشتاقك.. لا أصدّق أنَّ هذه المكالمة الهاتفية ستكون آخر مكالمة بيننا.. لا أصدّق أبدا.)

نطَّتْ هذه الكلماتُ على قلبه مثل مخالبَ قافزةٍ من أسلاك الهاتف قبل أن تغلقه (هدى) وتشمِّعه بإجهاشة الوداع الأخير لتترك حبيبها وراء المسافة يتوسَّل الهاتف أن يصدح والأسلاك أن تبوح ولكن دون جدوى، بينما هي على الشاطئ الآخر قد تحوَّلتْ إلى قَصَبَةٍ نحيلةٍ يتدلى في طرفها قنديلٌ لا ينفكُّ يتناثر منه شررُ الذكريات.

وجهُ تلك الليلة (السادسة عشرة من ربيع الآخر/ عام...) كان يطلُّ من شُرفة الوقت عابسًا ومقطِّبًا لا يشبه ليالي العرس أبدًا، وهناك (هدى) جالسة إلى جانب عريسها على أريكة الزفاف حيث أشواك الحقيقة قد نبتتْ وافتضَّت المخملَ الذي كان يُنجِّد تلك الأريكة.

أحسَّت (هدى) بالأشواك تنغرس في جسدها، ولكنَّ الفضيحةَ منعتها من الصراخ في زحمة الحضور.. همست لنفسها نبضًا إلى نبض:

هذا قدَرٌ أرضيٌّ أشدُّ سوادًا من أن تكتبه السماء.. أليست المرأة كالوردة لا يمكن أن تتفتَّح بتلاتُها رغمًا عنها؟ وأي معنى للوحدة أشدّ وطأةً وأكثر وضوحًا من معاشرةِ شخصٍ لا تشعر به؟

كانت الكاميرات تتلاقفها بينما هي توزّع نظراتها كاللآلئ الحزينة على وجوه النساء من حولها. فجأةً، تَشَظَّتْ لؤلؤةٌ على وجهٍ حَرَثَتْهُ ثيرانُ الزمن ونثرتْ فيه التجاعيدُ بذورَها فارتدَّتْ عناصرُ الماكياج إلى مناجِمِها خجلى حينما لم تستطعْ أن تصدَّ غارةَ الأيام عن ذلك الوجه.. تفرَّستْ (هدى) في تلك الملامح البعيدة فإذا بها ملامح أُمِّها التي قرأتْ ملامحَ الحزن على وجه العروس. بدأت الأمُّ وابنتُها تخطَّان رَسْمًا كاريكاتوريًا حزينًا في الهواء بالصمت والنظرات، فكلُّ رمزٍ فيه اتَّخذ هيئةَ ثعبان، وكلُّ دلالةٍ اتَّخذت شكلَ أفعى.. ولا يكاد يكتمل ذلك الرسم حتى تقطع خطوطَهُ قُبلةٌ من صديقة، أو ضمَّةٌ من أخرى في غمرة التهاني.

وفي الوقت الذي كانت تتلاشى خلاله تفاصيل وجهِ (هدى) شيئًا فشيئًا، انبعثتْ من تجاويفِ إحساسها رائحةُ صدى معتَّق داخلها.. ولم تكدْ تلك الرائحةُ تتجسَّد في شكلها النهائي حتى تحوَّلت إلى خارطة تقود إلى صوتِ حبيبها في حوارٍ قديم معها:

ـ ماذا لو أرغمكِ أهلُكِ على الزواج من أحد غيري؟

. هذا محال.. لا أحد يستطيع أن يفصل الماء عن الخرير ساعة جريان النهر.

. هذا كلام شاعريٌّ لا يُسمن ولا يغني من جوع!

. يا حبيبي.. إن السماحة من وظائف الوالدَين، ولا أعتقد أنَّ والديَّ سوف يتخلَّيان عن وظيفتهما.

جرَّت (هدى) آهةً خفيفة وقبل أن تنزلق تلك الآهة من اللهاة خبّأتها في سعلةٍ مصطنعة ثمّ غابت في نجوى:

كيف أستطيع أن أودِّع ما تبقى فيَّ منك يا حبيبي، وما تبقّى فيَّ منكَ هو كلُّك. كيف لي أن أذهب بذاكرتي إلى حضانة الغياب كي أدرّبها على نسيانك، وكيف يمكن لجسدي الذي سمّيتَهُ أنت: آخرَ ملاعبِ طفولتك؛ وحلمتَ أن تلعب فيه بحرّية.. كيف يمكن لهذه الجرَّة الواهنة ذاتِ البَشَرَةِ التي يفتضُّها الهواء الرقيق.. كيف يمكن لها أن تختزن أعاصيرَ الندم والقهر عُمرًا بأكمله دون أن تتسابق أمشاجُها إلى الانفجار.

يا إلهي.. لن أدع الجريمة داخلي تنزف كل دمائها هذه الليلة، لا بدّ أن أدّخر كثيرًا من الدم للأيّام القادمة فالجرح طويل، ولا بدّ أيضًا أن أقرع رؤوس الشياطين بالأشدّ من الآيات كي أتحاشى الاصطدام بالقيم والمبادئ. إنَّ ورقةَ عقدِ الزواج سَدٌّ عالٍ أمام تدفُّقِ نهرِ

مشاعري باتجاه الحبّ.. تَبًّا لهذه الورقة السوداء.. كم تمنَّيتُ أن يُكتبَ عقدُ زواجي على ورقةٍ بيضاء كحليب أمي.. آه.. كم تمنّيتُ ذلك.

غاصتْ (هدى) في أعماق وساوسها أكثر وأكثر وهي مازالت على أريكة الزفاف:

الطلاق.. الطلاق هو الحل القادر على إنقاذي من وحش هذه الوساوس. لا.. لا أريد أن أهرب من وحشٍ ليبتلعني وحشٌ أشدُّ ضراوة، فالطلاق وحشٌ آخر، وهو لن ينقذني من وحش الوساوس إلاّ ليستفرد بي ويأكلني على مهل. إنَّ الحبّ المبتور ليس مأساتي وحدي فطالما حدَّثتني صديقتي (وردة) عن عشقها الجارف لابن الحارة، وحينما هبّ عليها نسيمُ الزواج، كان نسيمًا مسمومًا دفعها إلى أحضان شخص لا تعرفه.. كذلك صديقتي (وفاء) التي بقيتْ أطول من عُمرِها تحلمُ بابن جارهم، وانتهتْ إلى رجل طارئ على حياتها. لا بدَّ من الاعتراف بأنّني لن أكون بدعةً في المجتمع، ولن أتجاوز التقاليد والسُّنَنَ الشمطاء. هذه أنوثتي تجري في مجراها الطبيعي:

نساءُ الحيِّ ينتظرنَ رؤيةَ بطني بعد عدَّة أشهرٍ تتدلَّى مثل ذبيحةٍ معلّقة للسَّلخ!

جدرانُ البيت تنتظر إعادة تشكيل ملامحها إلى الأجمل كلَّما ارتطمتْ بصرخاتِ صِغاري!
والشارعُ ينتظر اغتساله في نهرٍ من الأطفال يتدفّق من خلفي كلما عَبَرْتُهُ!

سأصبر إذنْ، وأتركُ قلبي معزولًا في ركن من أركان جسدي كالمرآب المعزول في زاوية من زوايا المنزل. من أجل عيون الشارع وجدران البيت ونساء الحي سأصبر.. سأصبر مشطورةً هكذا: نصفي الخارج متزوِّج ونصفي الداخل أعزب.
هي جريمةٌ بلا شكّ.. ولكنَّها ليست جريمة أهلي.. وإنما جريمةٌ عائمةٌ لا يمكنُ محاكمتُها إلّا بمقدار ما يمكنُ محاكمةُ مجتمعٍ بأكمله.

ساعة ومرآة بيضاء

حارب الظاهري

لم أكن أرتشف قهوتي معها في آخر الليل، إلّا أنّي حتمًا فعلتها بعد محاولات لإرجاء الفكرة، كنت أفضّلها في أول المساء، كان لها ما يشبه الطقوس المسائية، تناءت تلك اللحظات، وعادت في التحام أجوف، توقّفٌ حتميٌّ للوقت، تبعثرٌ ما للثواني، حكاياتٌ ليليّة تضجّ، لا أشعر بالزمن الذي يؤرّق النائمين، تزاحم في السواد المهيمن، يطمس دقائق التمتع بالنظرة الأبدية للحياة، يضرم احتدامه بساعة بيضاء على الجدار، لا عقارب لها .

قرّرت ألّا أرفع الستائر "بالرموت"، حتى لا أشعر بالضجيج الذي يحدثه صوتها في الصمت المهيب، حالة هوجاء ويتوارى خلفها الزمن.

حتى لا أرى الفتاة ذات الجبهة الساطعة تجلس على الشرفة الليلية، تحاور السماء بابتسامة بلهاء، جارتي هي التي لا أعرفها جيدًا، لها لمحات استثنائية، أعرف اسمها أو تناسيته.

أولًا أودّ أن يقع اللوم على ذاكرتي، رفقًا بها، كأنّي فقدت من الزمن لحظات لا معنى لها، لحظات اضطراب مهووسة بالضياع، تنازلت

عن مناكفة أيّ شيء، وأيقنت أنّها محض إثارة، وبدأت اللحظة المختلة من الذاكرة البيضاء الشفافة، اللحظات الماثلة تصبح ذات بعد خياليّ جميل، ذي رونق بهيّ، لا فتور ولا صخب.

اغتراب في التفكير، لحظة ليلية بل لحظات، لا أحد يجيبني، وخضمّ صمت وتأمّل في الأشياء الماثلة التي تبدو جميلة ...أقرأ تعابير وهمها، لان منذ زمن، لا أعرف شيئًا عن الأشياء القديمة، تمرّد اللون والشكل على ذاكرتي، فلا أودّ أن أحجر على ذاكرتي، من أجل أن يخلد صمتي الأخير، صمت الشارع الكئيب.

لولا ضجيج القطط الذي تمادى، لن أفتح الستائر، فالقطط لا تضجر إلّا ليلًا، لأنّها مشردة، وهي بلا إيقاع للزمن وحرّة، تدفع ثمن حرّيتها، بأنها بلا مأوى يأويها، وبعد بضع لحظات من السرحان باغتتني جارتي ذات الجبهة الساطعة، إشارة إليّ، هي دعوة كالعادة للسهر معها، وقد أعدّت القهوة الليلية، وتبدو أجمل وهي تنتظرني، حجبت جبهتها اللامعة بقليل من خصلات شعرها، بدأت أجمل أمام محطات قناعتي الخفية، ألحت وهي تشير إليّ بكفّها وبعنفوانها، لأرتشف قهوة معها، كأنّها تنتظر اللحظة تلو اللحظة، منذ عرفتها وهي متورّطة مع الزمن.

أودّ أن أخرج من فكرتي البائسة، القهوة هي نبض الوقت واللقاءات،

لما أبقى في غرفتي، هذه التي تحولت إلى غرفة مزمنة، فما إن أومأت إليها حتى شعرت بأن لا انفصال عن الزمن، خرجت من عباءة الزمن جريحًا وحزينًا، وها أنا أوافق على تبعات زمنية رمادية، ربما سوداء حافلة بما يساورني من شكٍّ في الزمن .

ألزمت الموسيقى الهادئة بالصمت، وبدأت ألبس هندامي الجديد، أجزم لا أعرف متى اشتريته، ليبدو جديدا لأعوام قادمة، وأمام لحظة كهذه، أقابل فيها فتاة جميلة، تنتظرني على ما يبدو بلهفة وشوق، تدرجت من العلو الثالث، كان لحذائي صوته الإيقاعيّ، لم أسمع إيقاعه منذ زمن، لم أرَ لمعانه ساطعًا، لم أفكّر في الطريق، والسماء تبدو داكنة.

لم أطرق الباب، اكتفيت بالشعور الخفيّ أنّها تراقب حضوري من آلة المراقبة، وتحشد حضورها المشبع باللمعان، تنطوي تحت جنح الباب الأنيق.

خطوت معها هادئة، لا تبدو لغة ترحاب بيننا تحضر، ولا همس يؤجّج الصمت، ما يبدو تلامس شعورنا في البهاء، كأنه في فضاء أزليّ، يفرّ بنا نحو جناحها الخاص، سائر البيوت من حولنا فخامة من الأسى، لا نبض فرح يوحي بالحياة فيها، لها أناقة من الحكايات المؤلمة، وكم تبدو حزينة.

شعرت بأنّ القهوة بدأت تفقد طعمها المرّ على لساني، لم أعرف بأنّ لها حروفًا تنطلق في الرأس، ولها رائحة ينكمش لها الألم، لا تنعتق رائحتها من ذاكرة الأفكار، لا تمنح اللحظات أن تثب بعيدًا، تسلسل حدثًا ما يؤرّق الجسد، تدرك بأنّ لها فقاعات بيضاء، لا تشاهد حين مزجتها بالليل والأحلام، وعصف بها الوقت بعيدًا عن سهرتنا، نظراتنا توحي بأننا تقابلنا مرارًا في بيتها، وعلى الأريكة، وتحدّثنا على ضفاف النهار، وفي كنف الهدوء تلذّذنا "بالآيس كريم"، حين الروح كانت تفزع من الأصوات الهوجاء، التقينا أمام حديقة من الزهور ذات مرة، وارتشفنا مع الشاي ماء الزهور، والتقينا ذات مرة خلسة، بمحاذاة بوابة السوق القديم، الكلّ كانوا يزعمون بأنّهم لا يروننا، أو يغضون الطرف، ونزعم أنّنا جسدان من براءة، وعقل من طفولة واغتراب .

مزجت جسدي برائحة عطرها النسائيّ، تساءلت: أين أنا الآن، أحيانًا أشعر بجسدي يحلّق في السماء، وأحيانًا لا أراها تبتسم كعادتها، تراودني الفكرة حينها، تقول استسلم للزمن، أو اترك حياة العبث بالوقت والأيام، عش بلا زمن، بلا دقائق تفترس ملذاتك، قهوة العشق لم تبدأ بعد، والسهر يصدمنا بصمته، فكلما زاد الوجع الليلي والتعب فكّرت كيف أطوي سجادة الوقت، وأستسلم .

نقرت الطيور نافذتي، أشعرتني بالظمأ وصحو ساعة الزمن في قلبها، عطشها بوصلة اتجاهها وجوعها، بصيص من ضوء يفتح جفوني قليلا، أشعر بساعة الوقت تلامس عقاربها، لم تعد بيضاء، ولم تعد قصورًا حولي ولا بيوتًا فخمة، قهوتي الفاضلة بمرارتها فاصلة بين زمنين، وجارتي الجميلة لعلّها تنهض من نومها، وتجلس قليلًا قبل أن تذهب إلى عملها، تستدرج الوقت بهدوء، لن أتهندم أمام مرآتي مثلما تفعل هي، أودّ أن أكبح جماح الأناقة الفاترة والمظللة، منذ عقدي الثاني لم أعد على التصاق مباشر مع الأناقة .

نهضت من سرير عالمي الآخر، وأرسلت لجارتي كلمة صباح الخير، ولكلّ من هم في أتون الأسئلة الزمنية، قطفت لهم وردة حمراء وأنا أرتشف قهوتي بملاذ الصباح، والعصافير تنقر حبات الوقت، وتجنح بعيدًا، كأنّها تطير بالوقت نحو المجهول، كأنّ الوقت لا يتفهم وجودنا ولا يحصي الآلام التي تنتابنا من وقت إلى آخر.

الصرصور والعصفور

رياض نعسان آغا

بدتِ اللعبة مسلّية، طائرة تحلّق في السماء، لكنّها تقترب من أسطح المنازل، سمع الأولاد أزيزها، فرحوا لأنّهم أوشكوا أن يروا الطيّار يلوّح لهم بيده بينما يده الأخرى تقود الطائرة، هرعت أمّهم إلى الشرفة، وصرخت برعب:

–ماذا تفعلون هنا ؟

–نتفرّج على الطائرة، أمّي انظري، أليس هذا الطيّار هو ابن جيراننا الذي صار ضابطًا يقود الطائرات ؟

تصعق الأمّ، وتصرخ:

–لا، هذا ليس ابن جيراننا، هذا سيرمي قنبلة تدمّر الحيّ كلّه. تعالوا ادخلوا، واختبئوا في الحمّام، هيّا بسرعة.

ابنتها فاطمة تشعر بالرعب، تدخل مرتعشة، وقد سرت قشعريرة الخوف في جسدها الناحل بينما ينظر ابن العاشرة الذكيّ إلى أمّه المغفّلة، ويقول ساخرًا:

–ألن تصل القنبلة إلى الحمّام ؟

تلطم الأمّ على وجهها هلعًا، بينما ابنها الأكبر ابن الثانية عشرة

يضحك:

-يا أمّي، أفضل مكان للحماية من القنابل هو الشرفة، هنا نطير، نصير عصافير، في الحمّام هناك احتمال أن نتحوّل إلى صراصير.

الطائرة تحوم كأنّها تبحث عن هدف محدّد، وتشعر الأمّ أنّ قائد الطائرة رأى أبناءها ،وأنّهم هدفه .

تنظر في عينيه، تراه، تحدس أنّها تعرفه، هو ابن الجيران حقًّا، يخيّل إليها أنّه يشير لها بيده ضاحكًا، بل توشك أن تسمعه يناديها:

-جارتنا أم أحمد، أنا سليمان، ابن جارتك أم سليمان الذي كان يلعب في الحارة مع ابنك أحمد، لقد صرت ملازمًا. هل صحيح أنّ أحمد هرب من عامين، وصار إرهابيًّا ؟

ترتعش أمّ أحمد، هي لا تعرف أين ذهب ابنها الذي طُلب إلى أداء الخدمة العسكريّة، فتلكّأ طويلًا، وتوارى ثمّ هرب، وترك رسالة صغيرة لأمّه يقول فيها: (سامحيني، لا أستطيع الذهاب إلى الحرب، أخاف أن يطلبوا منّي أن أقتل أحدًا، سأهرب، أعدك بأن أعود)

لكن أحمد لم يعد.

تلتفّ الطائرة حول سلسلة العمارات المتلاصقة، تعبر بين ملاقط الغسيل المنتشرة على الأسطح المكتظّة بخزّانات المياه والمازوت وصحون الدشات اللاقطة. يصرخ ابنها الذكي وهو يرى أمّه ترتجف:

-أمّي، هذه الطائرة لن تقصف، الكابتن ابن حارتنا، محال أن يهدم ابن حارتنا بيوت أهله وجيرانه، هو يبحث عن الإرهابيين فقط.

أمّا أخوه الصغير فقد باغته فرح جعله ينطّ كقطّ يتعربش لملاعبة فراشة، وهو يصرخ:

-أمّي، شوفي البرميل ...

تصعق أمّ أحمد وهي ترى البرميل يتهاوى باختيال، ويتراقص زهوًا وهو في طريقه إلى الحيّ، يصرخ وئام بفرح وسخرية.

-جارنا يعرف أنّا نعيش بلا ماء، أكيد هذا برميل ماء. إنّه يريد أن يسقي أهل حارته.

يضحك الصغير، ويعلّق بمكر:

-بل هو برميل مازوت، أغمض عينيك، المازوت يحرق العينين

نسيت أمّ أحمد ذعرها وهي مأخوذة بمتابعة رحلة البرميل، أين سيسقط ؟ ومن سيموت بعد دقيقة، أو من سيفقد يديه أو رجليه، أو من سيبقى حيًّا تحت أنقاض بيته، والبرميل يقترب .. ويقطع عليها شرودها تصفيق حادّ، يعلن الصغير عن هطول برميل آخر أرسله جارنا إلى الحيّ .. تصرخ أمّ أحمد:

-يا ويلي، تعالوا ادخلوا بسرعة، هذا برميل متفجّرات ...

تقبض بيديها على الولدين، والبرميل يقترب، ويتهاوى، ويصرخ وئام:

-أمّي، إن كنت خائفة فصدّقيني الشرفة هي المكان الآمن.

تصطكّ أسنان أمّ أحمد وهي تسحب الولدين راجفة اليدين إلى الداخل، وتقودهما إلى الحمّام، ولم تعرف أين اختبأت فاطمة الصغيرة، أمّا ابنها وئام فهو مصرّ أن يبقى في الشرفة، ويحاول أن يفلت وهو يصرخ:

-لا أريد أن أموت كصرصور.

يضحك الصغير بخبث:

-أنا الذي سأكون العصفور، وأنت ستكون الصرصور.

تنظر أمّ أحمد إلى ولديها، ويجفّ الدمع في مقلتيها، وتطفئ في جوفها حمّى السؤال:

-لماذا يريد سليمان أن يهدم الحيّ فوق رؤوسنا ويقتلنا ؟ أطفالي لم يخرجوا في المظاهرات، وأحمد هرب، وجريمته أنّه خاف أن يقتل أحدًا من أبناء الجيران.

نسيت أمّ أحمد أنّ البرميل يوشك أن يصل، وقبل أن تسمع الانفجار، فلت الولدان من بين يديها، ودوّى انفجار لم يمهلها كي تسمع صداه، لكن ولديها تحوّلا سريعًا إلى عصفور وصرصور، ولم يعرف أحد مصير فاطمة.

الإكسير.. ربما

شاكر نوري

شعرت فجأة بحزن داكن يخيّم عليّ كما لو أنّ نسرًا فرش جناحيه على أنفي، وخنق أنفاسي ! كان الوقت مساءً، ولون السماء امتقع قليلًا، واختلط بأعمدة دخان غريبة انبثقت من قلب بغداد. حينئذٍ أصبح للغثيان طعم مرٌّ يلصق في باطن الفم .

أصبحت عاجزًا عن فعل أيّ شيء بين جدران غرفتي، لذا قرّرت الخروج والتجوال في الشارع المطلّ على نهر دجلة، والمكتظّ بدكاكين صاغة الذهب والفضّة والمجوهرات، في محاولة لمحاصرة هذا الغثيان والتخلّص منه .

كانت أشكال الأساور والأقراط والخواتم تبعث في نفسي بهجة، لكنّها في الوقت نفسه تخفي بين ثنايا نقوشها أسرارًا وطلاسم أشبه ما تكون بغموض الحروف التي تبعث القلق .

قلت في نفسي :

- ماذا ينفع أن أستبدل بالغثيان القلق؟

ثمّ أجبت :

- لكنّي ينبغي أن أكون هنا أو هناك... في غرفتي أو في

الشارع !

قطعت جزءًا من الشارع وأنا ألهو بالنظر إلى نقوش المجوهرات ولمعانها.

كنت على الدوام مولعًا ببريق الذهب، فمنذ صغري كان جدّي يصحبني معه إلى دكانه الكائن في الشارع نفسه .

كانت الأبنية الحديثة الشاهقة تخيّم على البيوت البغدادية القديمة ذات الشناشيل المصنوعة من الخشب، حيث تضاءلت في ظلالها، وأصبحت مثل علب الكبريت .

لا أعرف كيف توقّفت عند دكان صغير منزوٍ، انشدّت نظراتي إلى المجوهرات المعروضة فيه. في الواقع لم تجذبني تلك المجوهرات بقدر ما جذبني وجه الصائغ الطاعن في السنّ، وقد انحنى بقامته الضئيلة على خاتم نحيف، يصقله بوساطة منفاخ تخرج منه ألسنة لهيب حارقة، حيث خيّل إليّ أنّها على وشك أن تحرق أطراف لحيته الكثّة النازلة إلى الأرض .

لا أتذكّر كيف دفعت الباب الخشبيّ المهلهل، ودخلت ذلك الدكان حتى وجدت نفسي في مواجهة الصائغ الجاثم على منفاخه الناريّ. كان يخالطني شعور مؤكّد بأنّه كان يبحث عبر نظراته القلقة في الخاتم عن إكسير يحوّل به المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة، لكن

ثوبه الرثّ، ودكانه المنزوي البائس، وأدواته البسيطة لم تكن توحي أبدًا بأنّه مقدم على تلك المغامرة الخيميائية الخطيرة !

لم يرفع الصائغ الهرم رأسه، ولم يشعر بوجودي إلى أن وضع الخاتم الذي في أطراف أصابعه المعروقة المرتجفة في حوض صغير مليء بسائل أبيض يشبه الحليب، فأحدث فرقعة. وحالما انطفأت شعلة المنفاخ، واختفى صوته، رفع رأسه .

حدّق بي، وعصر تجاعيد وجهه وكأنّه يحدّق في رجل مريب، قائلًا بنبرة صارمة :

- ماذا تريد؟ شعرت بأنّي أقتحم عزلته، فقلت له :
- من أيّ معدن تصنع مجوهراتك؟

قطب حاجبيه، وحدجني بنظرة مستغربة قائلًا :

- وماذا تعتقد؟
- أقول هل تصنع مجوهراتك من الذهب الخالص مثلًا؟ !
- الذهب الخالص !

وضع معدّاته جانبًا، وأخرج علبة من جيبه، التقط منها قليلًا من التبغ، ونثره وسط ورقة خفيفة، مرّرها بين شفتيه الذابلتين، لاصقًا حافتيها بلعابه. عندها بدأ يدخّن كما لو انفتحت أساريره من جديد. ثمّ قال :

- يا بنيّ، المعادن أجساد وأرواح .

بقيت شاردًا لحظةً أبحث عن إجابة مناسبة. خيّل إليّ أنّني أتحدّث إلى جدّي !

قلت :

- وكيف تكون للمعادن أرواح؟

قال بنبرة حازمة كأنّه عالم كيمياء خبير :

- من الأجساد: الذهب والفضّة والحديد والنحاس والرصاص والخارصين.

قاطعته قبل أن يكمل، طاردًا دخان سيجارته الحادّة عن أنفي :

- ومن الأرواح ...

- من الأرواح: الكبريت والزرنيخ الزئبق .

ثمّ أضاف وهو يطلق عقلي في متاهة الكيمياء :

- ويمكننا أن نذكر بعض المركبات كالملح والنشادر والبورق والزاجات والأحجار أيضًا .

- ثمّ ساد صمت بيننا، كنت خلاله أبحث في مخزون ذاكراتي عن كلمات أردّ بها على الصائغ الهرم .

عندما رآني في حالتي هذه قال كمن يطمئنني :

- لكلّ معدن طبائع، منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن .

وراح يعدّد لي صفات المعادن قائلًا :

- الرصاص، ظاهره بارد، يابس، وباطنه رخو، حار، رطب. الحديد ظاهره حار يابس، باطنه بارد، ورطب رخو. الذهب ظاهره حار، رطب، باطنه بارد، يابس. الزئبق ظاهره بارد، رطب، رخو باطنة حار، يابس، صلب. الفضة ظاهرها بارد، يابس وباطنها حار، رطب.

صرخت في وجهه :

- إذن لماذا لا تحوّل جميع المعادن التافهة إلى ذهب، وتصبح غنيًّا؟

هزّ رأسه متأسّفًا، وبنبرة حزينة قال :

- لم أكن أتصوّر أن يصدر عن فضوليّ مثلك هذا الهراء.

طأطأت رأسي خجلًا منه .

مرّت فترة صمت، تناول معداته الصدئة، وراح يضغط بقدمه على كيس مطّاطيّ، يخرج من فوهة المنفاخ ألسنة اللهيب، ثمّ قال :

- كيف يمكن تحويل معدن إلى معدن آخر بإظهار ما يبطن أو إبطان ما يظهر؟ وكيف يمكن تحويل ميزان وزني لمعدن إلى ميزان وزني لمعدن آخر؟

توقّفت قليلًا، وأضاف بعد أن نفث دخان سيجارته في فناء الدكان

الضيق :

- لا يتحوّل عنصر ما من مرتبته إلى مرتبة أعلى دون المرور بالمرتبة الوسطية إن وجدت. لابدّ أن يتحوّل النحاس إلى فضّة قبل أن يصير ذهبًا إبريزًا .

- نهض بجسده الواهن النحيل، وصعد على صندوق خشبيّ ملقى، ومدّ يده إلى رفّ في سقف الدكان، تناول حزمة من الرسائل في أنواع الجواهر الثمينة والسيوف والعطور، مع رسومها المنحوتة على ورق رقيق من الجلد .

فرشها أمامي قائلًا :

- انظر، إنّ درهمًا من الزئبق يغطّي عشرين من النحاس حتى يصير كلّه أبيض اللون. ودرهم من الكبريت يحرق درهمين من النحاس، ويلوّن عشرين إلى اللون الأزرق.

ثمّ سألني :

- أتعتقد بأنّ الأشياء المختلطة هي الأشياء الممتزجة؟

لم أفهم سؤاله، لأنّني كنت ما أزال أفكر بالفقرة الأولى التي ذكرها لي حين دخلت دكانة. طلبت المعذرة، وقلت له :

- هل يمكن أن تقول لي: ما معنى أنّ المعادن هي أجساد وأرواح؟

أطلق قهقهة طويلة، اخترقت الواجهة الزجاجية المطلّة على الشارع حيث أثار انتباه المارّة غير العابئين بأرواح مجوهراته، وبعد أن انتهى من قهقهته قال لي ساخرًا :

- المعادن في حقيقة الأمر ما هي إلا أرواح وأجساد وأحجار وزاجات وبوارق وأملاح. المقصود بالأرواح الموادّ التي لا تثبت على النار، ومنها: الزئبق والنشادر والكبريت. أما المقصود بالأجساد فهي أنواع المعادن التي تثبت على النار، وتكون مُطرقة كالذهب والفضّة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصين .

صمت قليلًا ثمّ أضاف :

- والأحجار قد تكون من اللازورد أو الكحل. ويقصد بالزاجات البلورات، ومنها الزاج الأسود والأخضر والشب. ويقصد بالبوارق الأملاح التي يدخل فيها البورق .

ويقصد بالأملاح مجموعة من المركبات مثل الملح الحلو والملح المرّ وملح الطعام وجوهر البول ..

لم أعد أحتمل سماع ما يقول، وقد شعر بأنّني لا أفقه شيئًا ممّا يذكر.

قال لي مبتسمًا وهو ينظّف كفّتي الميزان من الغبار المتراكم :

- انظر .

وأخرج كرة معدنية كبيرة وضعها في كفّة الميزان، بينما وضع حبّة رزّ

في الكفّة الأخرى، إلّا أنّ كفّتي الميزان استوتا، ثمّ أردف قائلًا :
المثقال الواحد هو ليس مثقالًا واحدًا .

قلت باندهاش :

- وكيف؟

- المثقال الواحد يعادل ستة دوانيق. والدانق يعادل أربعة طساسيج .

رفعت رأسي عن الميزان، فتراءت لي الأدراج الخشبيّة المثبتة بالجدران مليئة بالياقوت والزمرد واللازورد والعقيق والبلور والفيروز والزجاج الفرعونيّ والحدد والخارصين وعلب الكبريت والزرنيج والزئبق والنوشادر والبورق والزاجات والأحجار والسيوف والعطور والرسوم المنحوتة والجلود والكحل .

قلت له :

- لماذا لا تعرض الذهب مثل هذا الموادّ؟

لم يجب.

ثمّ أضفت بنبرة مشوبة بالتحدّي :

- ليس في مجوهراتك المعروضة في الواجهة الزجاجيّة بريق الذهب ..

أليست هي مصنوعة من التنك المطليّ بماء الذهب؟

قهقه بضجيج فيما تناثرت ذرّات من لعابه المتخثّر على وجهي، وقال بشيء من السخرية :

ها أنت تجيب بنفسك عن سؤالك .

ثمّ أضاف بخبث :

- يا سيدي، لا أريد أن أبيع ذهبي بنقود مزيّفة !
- نقود مزيّفة !
- أجل.. كلّ النقود مزيّفة !

شعرت بدوار يعصف برأسي .

وتساءلت في نفسي :

- هل إنّني أمام مجنون أو خيميائيّ عبقريّ؟

لا أعرف كيف جاءتني هذه الفكرة. خيّل إليّ أنّ ولع الصائغ الهرم بالذهب وصل حدًّا جعله ينكبّ على صياغة تابوت من الذهب لنفسه، يحفظه في باطن الأرض من الحرارة والرطوبة. فقد لمحت مدخل السرداب كوّة على شكل نافذة وهميّة.

إنّه قد يموت بين لحظة وأخرى.. ولعلّ هناك من يدفنه !

نسيت الوقت الذي أمضيته مع الصائغ الهرم لولا الساعة الجداريّة التي أعلنت موعد إغلاق الدكان. ودّعته بلباقة. وما إن خرجت إلى الشارع حتى شعرت كأنّني أخرج من باطن الأرض، من تابوت

الذهب السريّ، دون أن أستطيع مغادرته نهائيًّا .

وقفت أمام دكانه أنتظر كي أشكره على المعلومات التي زوّدني بها. لاح لي كالبرق حلم جدّي في العثور على إكسير يحوّل به المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة. تساءلت في سرّي :

- هل استولى هذا الصائغ اللعين على إكسير جدّي، وسلّط علينا أنياب الفقر؟

بعد لحظات خرج الصائغ الهرم ببدلة أنيقة لم أكد أعرفه. لا أدري كيف أبدل بثيابه الرثّة الملبدة بتراب الرصاص والنحاس والذهب والفضة بدلة أنيقة مصنوعة من الحرير.

اقتربت منه كي أحدّثه، اندهش متظاهرًا بأنّه لا يعرفني، ولم يقابل شخصًا مثلي !

كان الغضب على وشك الانفجار في داخلي. فقد مضى بخطى مستقيمة دون أن يعبأ بوجودي .

قلت في نفسي :

- اللعنة على سارق الإكسير .

أدركت في تلك اللحظة بأنّ هذا الصائغ الهرم استولى، بلا شك، على الإكسير الذي اكتشفه جدّي حين اشترى منه الدكان قبل وفاته —كنز الذهب الذي كان يخفيه جدّي في السرداب مع كتاب

سريّ .

كان ممّا يخفّف من حزني وكآبتي، رغم ما جرى لي، أنّ ذلك الصائغ الهرم بعث في أعماقي ضوءًا جعلني أرى به بريق الذهب الذي نسيته لأعوام طويلة.. وأتذكّر إكسير جدّي – خرافة العصر !

الرّاتب

شهاب غانم

عادت فرح إلى المنزل ذلك اليوم متأخّرة بعد الدوام وهي في أشدّ حالات الاكتئاب. رآها والدها عند دخولها غرفة جلوس العائلة التي فيها التلفزيون في الطابق العلويّ، فسلمت عليه باقتضاب، ولاحظ والدها الفرق في أسارير وجهها بين أمس واليوم، وقال بعطف :"لا أرى الفرح بوجه فرح اليوم" فاغرورقت عيناها بالدموع، ولم تردّ بل دخلت غرفتها.

فكّر والدها أن يتبعها، لكن تردّد، وقال: سأدعها لنفسها قليلًا، ثمّ أحاول أن أعرف ما الأمر.

كانت فرح قد تخرّجت في الجامعة قبل ثلاثة أشهر من كلية التربية بمعدل مرتفع، ثمّ بدأت العمل في وزارة التربية والتعليم في المدرسة الابتدائيّة في حيّهم قبل شهر، واليوم كان ميعاد تسلم أول راتب في حياتها. كانت فرح قد قرّرت بينها وبين نفسها أن تقدّم ذلك المرتب هدية لأمّها لتعبر عن امتنانها لسنوات الحب والرعاية والتربية الطويلة، ولتكسب بركة دعواتها، وذلك بعد أن تشتري لوالدها قارورة عطر رجاليّ من النوع الغالي، وتشتري لنفسها بعض المتطلبات القليلة من

وسائل الإيضاح لتلميذاتها، وبعض متطلباتها القليلة من ماكياج وما شابه ذلك. كانت قد فكرت حتى قبل أن تتسلم الوظيفة أن تهدي أول راتب تكسبه من عرق جبينها لأمّها.

ذهبت ذلك اليوم بعد الدوام إلى البنك، وتسلّمت الراتب، ووضعته داخل ظرف من البنك في الشنطة على كتفها وهي تشعر بفرح كبير. توجهت إثر ذلك إلى "المول" القريب من البنك، واختارت قارورة عطر كبيرة لوالدها من دكان العطور، ولما أرادت أن تدفع ثمنها لم تجد الظرف الذي كان فيه المرتب. فتّشت جيدًا، لكنّه كان قد تبخّر.

أصابها الهلع، وشعرت بشيء من الدوار وبتعرق في يديها وبضعف في رجليها. جلست في أقرب مقعد خشبيّ طويل من مقاعد زوار المول وهي تستعيذ من الشيطان الرجيم، وتقرأ المعوذات. حاولت أن تتذكّر أو تتخيّل من يمكن أن يكون قد خطف الظرف.

حاولت أن تتذكّر إن كان هناك من راقبها في البنك عند تسلّم الراتب أو إن كان أحد اقترب منها دون أن تشعر، لكن لم تستطع أن تتذكّر. لامت نفسها على وضع الشنطة على كتفها خلف ظهرها. فكّرت ولم تستطع أن تتذكّر سوى أنّ مجهود شهر قد تبخّر

على يد لصّ، وأنّ خطّتها لإفراح أمّها وأبيها قد تبخّرت أيضا، على الأقل ذلك الشهر.

كانت الأمّ في المطبخ تعدّ الغداء، ولم ترَ فرح تدخل المنزل، وتصعد للطابق العلويّ إلى غرفتها مثلما رآها الوالد. بعد قليل دقّ الوالد الباب على فرح، ففتحت ومازالت الكآبة تغمر وجهها. سألها والدها قلقا: "خير، هل حدث ما لا يسرّ؟."

روت له قصة سرقة راتبها. انزعج والدها، وكاد يلومها على عدم الاحتراز من اللصوص، لكنّه بدلًا من ذلك قال لها: إنّ هناك في بعض البنوك في فترة تسلّم الموظفين رواتبهم يوجد أحيانًا لصوص يراقبون الناس ويلاحظون أين يضعون ظروف النقود التي يتسلمونها ويختارون الضحايا التي يقدرون أنّها سهلة، ويتبعونها إلى خارج البنك، إلى محلّ يسهل فيه نشل الظرف. لذلك ينبغي أن نضع النقود في مكان يصعب نشلها منه، كما ينبغي أن ننتبه إلى من يراقبنا.

تذكر الوالد في تلك اللحظة قصتين. الأولى ما حدث لأخيه الأصغر في لندن حيث ذهب لدراسة الماجستير، وكانت تعيش برفقته زوجته في مطلع زواجهما. وذات يوم في بدء أيام دراسته ذهب في أول

أحد الشهور لتسلم مبلغ المنحة الشهرية للدراسة من فرع بنك في محطة "بادنجتن". وما إن تسلم المبلغ، ووضعه في جيب معطفه، وابتعد خطوات من البنك حتى أقبل نحوه شخص عربيّ، وخاطبه بكلّ مودّة بلهجة تنتمي لإحدى الدول العربية سائلا: "هل الأخ عربيّ؟" فأجاب شقيقه بالإيجاب. فأقبل نحوه الرجل قائلًا: "اسمح لي إذن أن أحضنك، فأنا مشتاق للوطن العربيّ" وقبل أن يقول شقيقه شيئًا كان الرجل يحضنه بقوة للحظة ثمّ ابتسم قائلًا: "ربنا يوفقك، ويوفق الأمة العربية والوحدة العربية" ثمّ مشى بعيدًا بشيء من السرعة.

بعد دقائق دخل الشقيق دكانًا في محطة "بادنجتن" ليشتري بعض متطلّبات المنزل، وعندما بحث عن ظرف نقود المنحة الذي تسلمه من البنك كان قد تبخّر. تذكّر الأب أيضًا أنه عندما أخبر أسرته بتلك القصة المحزنة علقت ابنته قائلة: إنّ عمّها كان ينبغي أن يكون أكثر حرصًا.

أما القصة الثانية التي تذكرها الأب فهي كيف أنه عندما تسلم أول معاش بعد أن أنهى الشهر الأول في أول وظيفة له، وكانت في شركة للاتّصالات، أخذ راتبه الأول كاملًا في الظرف نفسه الذي تسلم فيه المعاش، وقدّمه لوالدته وقال لها: إنّه أول معاش، وإنّه هدية لها،

ليكسب البركة في وظيفته. شكرته أمّه كثيرًا، ودعت له، لكنّها رفضت أن تأخذ الراتب ولو جزءًا منه. وقالت له: "ربنا يبارك لك، ويزيدك، ويعلي مقامك، وإذا احتجت يوما ما فسأخبرك."

ذهب الوالد إلى مكتبه وهو يفكّر، ثمّ أخذ ظرفًا، ووضع فيه ما يعادل نصف راتب ابنته بالضبط وأغلقه، وعاد إلى غرفة ابنته، ودقّ الباب من جديد، ولما فتحت الباب كان بعض الحزن ما زال يخيّم على وجهها. قدّم لها الظرف وهو يقول :"هذا نصف تعويض، والنصف الثاني هو الدرس الذي عسى أن تكوني قد تعلمتيه ."

كلّ شيء على ما يرام

شيماء المرزوقي

جاء وكلّ ملامح التعب والإرهاق تغطي وجهه، كان الإعياء قد أخذ منه كلّ مأخذ.

اقترب من فراشي، مسح على وجهي، وهو يقول :

-غدًا مدرسة، هل استذكرت دروسك؟

أجبته، وأنا أنهض لأجلس على السرير:

-نعم.

ابتسم، وهو يقول :

-أنت ذكيّ، ستنجح.

عاد يبتسم، يحاول أن يغطّي ملامح البؤس التي تملأ كيانه ووجوده وحياته.

بعد أن ساد الصمت، نهض ليغادر، سألته:

-أبي، هل أنت بخير؟

نظر نحوي، وهو يزيد من حجم الابتسامة، في محاولة أكيدة لإخفاء أكبر قدر من الحزن بين عينيه، لكن مع اتّساع الفرحة المصطنعة، ظهرت فجوات واضحة من خريف العمر الذي مسّه، ومن خسارة

الإنسان للوقت، عندما يمضي به الزمن دون أن يدرك أو يعلم.

قال وهو يتّكئ على الجدار:

-لم أكن في أيّ يوم أفضل حالًا من اليوم.

نظر نحوي وبين عيني، وهو يهزّ رأسه:

-كلّ شيء على ما يرام.

أشرقت شمس الصباح، توجّهت نحو مدرستي، وعند عودتي كان كلّ شيء يوحي بالبرودة والجفاف والقسوة. ذهلت عندما شاهدت أمّي مكتئبة، والحزن ارتسم على وجهها، وأبي جالسًا يقرأ قصاصة إحدى الصحف، عندما شاهدني واقفًا عند الباب، رحّب بي، وأجلسني بجانبه، وسألني عن يومي الدراسيّ، وبعد الانتهاء من سرد ما حدث وإعجاب المعلمين بمستواي الدراسيّ، سألته:

-أبي، هل أنت في إجازة؟

نظر نحوي، وابتسم، قطعت ابتسامته، عندما قلت:

-أنت لا تحبّ الإجازات.

صمت بعض الوقت، ومع صمته شعرت بأنّه من المناسب أن أغادر نحو غرفتي، لكنّه عاد واستوقفني، وهو يقول:

-لقد قدّمت استقالتي؛ ومؤكّد أنّهم سيندمون، ويعودون يطلبون عودتي.

اكتفيت بهزّ رأسي؛ لأنّ الألم كان يطفح من عينيه، كان بليغًا ومؤذيًا، فمن الواضح أنّهم هم مَن استغنوا عنه، لأنّه يتحدّث أنّهم سيندمون، ويعودون يطلبون عودته.

. . .

مضى بعض الوقت، والحالة النفسية لأبي تزداد سوءًا، فهو يخرج معي ومع أشقائي خلال الصباح للبحث عن وظيفة، ويعود بعد عودتنا، لكنّه لم يجد أيّ مكان ليعمل فيه، ويعود متعبًا ومرهقًا، بينما نزف الصرف الماليّ مستمرّ دون أيّ مصدر للتعويض، وهو الذي يعني الإفلاس في غضون أيام قليلة، وهذا يعني ألّا يجد لأطفاله قوتًا وطعامًا، ومع هذا الضغط بدأت أسمع نحيب أبي وهو يعاني الكحّة المتواصلة، فكلّ يوم يمضي كانت خلاله الآلام تتزايد وتنمو، والمخارج أو الحلول معدومة تمامًا، والأكثر قلقًا أنّ إيجار منزلنا بدأ يقترب تاريخه، وأبي مفلس تمامًا، وقد يُرمى بنا في الشارع.

كان لابدّ لي أن أفكّر في حلّ لمساعدة أبي الذي كما يظهر أنّه وقع في مستنقع، كلما تحرّك غطس أكثر، كان لابدّ أن أمدّ له يد المساعدة، وأحاول سحبه إلى برّ الأمان، لكن كيف؟

وما هي الطريقة المثلى؟ لم أجد حاضرًا في ذهني كمخرج إلا صديقي "خالد"، لأنّه دومًا كان يبلغني أن أباه مدير في إحدى الشركات،

لذا عزمت أن أحدّثه لعلّه يطلب من والده أن يساعد أبي في إيجاد وظيفة مناسبة له.

في صباح اليوم التالي، عندما حضر "خالد" للمدرسة، ولأول مرة يترجّل أبوه من سيارته، ويدخل إلى المدرسة، ويتوجّه نحو غرفة المدير. سألت صديقي "خالد:"

-لماذا حضر أبوك إلى المدرسة؟ لقد توجّه نحو الإدارة، هل توجد مشكلة يا "خالد"؟

-لا؛ لكن أبي في كلّ شهر، يمرّ بالمعلّمين للسؤال عن مستواي الدراسيّ، وإذا كان لديهم ملاحظات ونحوها.

-فهمت، أريد السلام على أبيك.

-حسنًا، قبل مغادرته المدرسة سنتوجّه أنا وأنت وأعرفك إليه.

نظرت نحو صديقي، وأنا أشعر بالسعادة، وقلت له:

-شكرًا يا "خالد" إنّ هذه فرصة مواتية فعلًا.

-فرصة ماذا؟ لو أعرف أنّك متحمّس للتعرف إلى أبي كنت دعوتك إلى زيارتنا في المنزل.

نظرت نحوه، وقلت:

-هذه أيضًا فكرة جيدة، تذكرها.

وبينما كنت أتحدّث مع "خالد"، خرج أبوه، فهرول إليه، ثمّ أشار

نحوي، فركضت، وما إن وصلت حتى تلقاني "أبو خالد" بالترحيب، وسلّم عليّ بحماس، وهو يشدّ على يدي، وقال:

-دومًا "خالد" يذكرك بخير، أنت متميّز في دراستك ومجتهد.

أسعدني كثيرًا ثناؤه عليّ، ولم أفوّت الفرصة، فقلت له:

-أشكر سيدي، و"خالد" بمنزلة أخ لي، وأعتزّ به كثيرًا. يوجد موضوع أريد أن أحدّثك عنه.

رغم أنّه كان واضحًا أنني صدمته بهذه اللهجة الجدية، إلا أنّه ضحك، وقال:

-تفضل يا بني، خير إن شاء الله.

-كل خير يا عم، إنّه أبي يا سيدي.

قاطعني، وهو يقول بقلق :

-ماذا حدث لأبيك، هل أصابه مكروه؟

-لقد تمّ الاستغناء عنه في عمله منذ نحو عشرين يومًا، وهو يوميًّا يذهب للبحث عن وظيفة جديدة، لكن دون جدوى، بدأت حتى صحّته بالتدهور.

كأنّ "أبو خالد"، صُدم، فظلّ مندهشًا، قطعت هذا الوضع، عندما قلت:

-لذا فكّرت أنّه لو أمكنك مساعدتنا بإيجاد وظيفة جديدة لأبي

لكنت شاكرًا لك.

هزّ رأسه، وهو ينظر في ساعته، وقال:

-إن شاء الله، سأحاول وأبلغ "خالد" بالنتيجة.

ثمّ غادر المدرسة.

بدأت الحصّة الدراسية الأولى، وفي الحقيقة كان فكّري في كلّ لحظة مشغولا بأبي خالد، فلم يظهر لي أنّه أخذ الموضوع بجدية، فهو لم يعدني بشكل واثق، أيضًا لم يتحمّس. كنت خلال الحصص الدراسية غارقًا تمامًا في التفكير عن مخرج لأبي، وبينما كان رفاقي قد خرجوا في وقت الاستراحة والإفطار، جلست في الفصل أقلّب الأفكار، وأبحث عن حلّ.

في هذه اللحظة دخل مدير المدرسة وبرفقته عدد من المعلّمين، وهو يشرح لهم عن بعض التعديلات في بعض الفصول، اندهش لرؤيتي، وسألني:

-لماذا لم تخرج مع رفاقك لتناول الإفطار؟

نهضت من كرسيّ، وتوجّهت نحوه، وقلت له مباشرة:

-إنّني مشغول بالتفكير في مشكلة في منزلنا يا سيدي.

وجّه نظره نحو الاختصاصيّ الاجتماعيّ، وهو يقول:

-مشكلة، لا تخف، سنساعدك في حلّها، هذا الأستاذ "أحمد"، -

يشير إلى الاختصاصيّ الاجتماعيّ – وظيفته حلّ المشكلات التي تعترضكم، الآن اذهب لتناول الإفطار، ثمّ توجّه نحو مكتبه.

انتهزت هذه الفرصة، وقلت:

-كلّا، إذا وجد من سيحل مشكلتي فهو أنت وحدك، رغم أنّ الأستاذ "أحمد" لم يقصّر معنا في أيّ يوم.

ضحك المدير والمعلّمون، وقال:

-ما شاء الله، بلاغتك لا تتناسب مع سنك ومرحلتك الدراسية، ما اسمك؟

-اسمي "طارق" يا سيدي.

-حسنًا يا "طارق"، اذهب لتناول الإفطار، ثمّ تعال إلى مكتبي.

تطاير الفرح من عينيّ، وأنا أشكره، وأقول:

-حسنًا، حسنًا.

لا أخفيكم أنني توجهت نحو مكتبه مباشرة، وبعد مضي بعض الوقت، شاهدني وهو يصل إلى مكتبه، فأشار بيده نحوي، فهرولت نحوه، وعندما دخلت مكتبه، طلب أن أجلس، وكان مبتسمًا. ثمّ قال:

-حسنًا، ما مشكلتك؟

-إنّه أبي يا سيدي.

قاطعني:

-عسى ما شر؟

-تمّ طرده من وظيفته، وبات دون عمل، وهو يبحث يوميًّا ولم يجد عملًا، وبدأت حالته النفسية تسوء، أخاف أن يصيبه مكروهًا. هل يمكنك أن تساعدنا في إيجاد وظيفة له؟

كان الذهول قد تملك بالمدير، مع ابتسامة خفيفة، وقال:

-هل يوجد من المعلّمين مَن حدّثك أنّ لدينا وظيفة شاغرة؟

-كلّا يا سيدي، ولا أقصد في المدرسة، وإنما في أيّ مكان تعرفه، يستطيعون أن يجدوا لأبي وظيفة.

ضحك، وهو يقول:

-لقد سألتك يا "طارق"، لأنّ لدينا فعلًا وظيفة شاغرة، قد تناسب أباك.

-صحيح يا سيدي؟

-نعم صحيح؛ المهمّ الآن هل تبلغه، أو أتّصل أنا به؟

-أعتقد أنّه من الأفضل أن تتّصل أنت به.

-فعلًا هذا أفضل، ألم أقل إنّ حكمتك وبلاغتك أكبر من سنّك، إنّ أبًا يربّي مثلك يا "طارق"، جدير بالاحترام.

لا أعلم لماذا أجهشت في هذه اللحظة بالبكاء، نهض وربت على

كتفيّ، وغادرت مكتبه.

عندما عدت إلى المنزل كان أبي جالسًا مع أمّي وإخوتي، استقبلني بحفاوة، وما إن جلست حتى قال:

-توجد مفاجأة، لن تتوقّعها يا "طارق"؟

-سألته، ما هي؟

-لقد تلقّيت اتّصالًا اليوم من شخص يسألني إذا كنت أعرف أحدًا لأرشّحه لوظيفة للعمل لديهم، هل تصدّق؟ هل تعرف ممّن جاء الاتّصال؟

-مَن هو يا أبي الذي اتّصل؟

-إنّه مدير مدرستك، يسألني إذا كنت أعرف مَن يبحث عن وظيفة لأنّ لديهم وظيفة شاغرة، وراتبها مناسب، ووقت عملها قصير.

-رائع، وماذا أجبته؟

-بماذا تعتقد؟ مباشرة رشّحت نفسي لهذه الوظيفة.

-ممتاز، سنسير للمدرسة معًا.

-انتظر يا "طارق" المفاجأة لم تنتهِ.

-ماذا؟ أرجوك أبلغني.

-يوجد لهذه الوظيفة سكن ملاصق للمدرسة، هل تصدّق؟

-معقولة يا أبي؟

-نعم، فأنا سأصبح الحارس الرئيس للمدرسة، ويوجد سكن واسع، وهذا يعني أنّنا لن ندفع إيجارًا بعد اليوم.

لم أتمالك نفسي، فبكيت، أمّا أمّي وإخوتي فضحكوا فرحًا وسرورًا. بينما قام أبي واحتضنني، وهو يقول:

-أنا أيضًا بكيت مطولًا من الفرح، كلّ شيء سيكون على ما يرام يا "طارق"، كلّ شيء سيكون على ما يرام.

نظرت نحو أبي، وقلت:

-هل تعرف يا أبي، منذ أن اختفت هذه الجملة من لسانك —كلّ شيء سيكون على ما يرام ولم أعد أسمعها بدأت أقلق.

ضحك أبي، أمّا أنا فقد امتزجت ضحكاتي بدموعي، إنّها صفحة جديدة في حياتي السّعيدة.

أكرم من حاتم

عبد الحكيم الزبيدي

كان راشد مستلقيًا على الأريكة يطالع التلفزيون حين رنّ هاتفه الجوّال، وظهر على الشاشة اسم صديقه الأثير سالم. ترك الهاتف يرنّ قليلًا، ليوحي لسالم أنّه مشغول كما اعتاد أن يمازحه في كلّ مرة يتّصل به فيها، لكي يسمعه يقول له أول ما يردّ: أين أنت يا رجل؟ مضت ساعة وأنا أدقّ عليك، ولا تجيب؟ يبتسم راشد وهو يقول: كيف مضت ساعة والهاتف أصلًا يقطع المكالمة بعد عشرين ثانية؟ ويمضي يقهقه.

يحبّ راشد صديقه سالم لمرحه وخفّة ظلّه، ويسعد بمحادثته والجلوس معه، ولا ينسى أنّه صديقه من أيام الدراسة الابتدائية، وجاره في السكن في حيّ الكويتات في مدينة العين.

وما إن أنهى كلّ من سالم وراشد العبارة المعتادة حتى قال سالم مستعجلًا: دع عنك هذه السوالف الآن. هل سمعت آخر خبر؟ ردّ راشد مبتسمًا وهو يتوقّع أن يسمع طرفة جديدة من طرائف سالم: خير إن شاء الله؟ قال سالم: جسّوم. يقصد صديقهما جاسم زميل الدراسة في جامعة الإمارات التي مقرّها في العين، وهو من سكّان

أبوظبي. قال راشد متوجّسًا شرًّا:

ما باله؟ قال سالم وهو يطلق قهقهة طويلة: عازمنا الليلة على العشاء.

قال راشد بعد أن أطلق تنهيدة طويلة: أخفتني يا رجل. ظننت سوءًا حلّ به.

ما المشكلة في الأمر؟

سالم: كيف أين المشكلة؟ أقول لك عازمنا على العشاء، وتقول أين المشكلة؟

راشد: نعم أين المشكلة؟ كثّر الله خيره، الرجل لم يقصّر.

سالم: تتذكّر متى آخر مرة عزمنا فيها ؟

راشد: لا —والله- لا أذكر.

سالم: من خمس سنوات عندما تخرّج من الجامعة.

راشد: (يضحك) حسنًا، وما هي المناسبة اليوم؟ هل درس الماجستير دون أن ندري؟

سالم: جسّوم يدرس ماجستير (يضحك)؟

راشد: إذن ما هي المناسبة؟

سالم: لا أدري، لم يقل لي. الأغرب من ذلك احزر أين عازمنا؟

راشد: أكيد في مطعم راشد علي، "كيما" و"براته" (يضحك).

سالم: لا وأنت الصادق، في هيلتون العين.

راشد: معقولة؟ ما الذي صار في الدنيا؟

سالم: ألم أقل لك إنّ الأمر يدعو للعجب؟

راشد: متى قدم إلى العين؟

سالم: لا أدري. سنعرف كلّ شيء حين نلقاه الليلة. سوف أمرّ عليك بعد عشر دقائق، ونذهب معًا.

راشد: تمام. أنا في انتظارك.

سالم: إلى اللقاء.

راشد: في أمان الله.

بعد عشر دقائق مرّ سالم بمنزل راشد، وسارا معًا إلى فندق الهيلتون الواقع في منطقة الكويتات قريبًا من منطقة سكنهما.

كانا طيلة الطريق يتبادلان الطرائف حول بخل جاسم، وكيف أنّه في كلّ مرة يزور العين فيها، ويلتقي بصديقيه يدعوانه إلى أحد المطاعم، وعند الدفع يتنافس الصديقان حول أيهما يدفع الحساب بينما يلتزم جاسم الصمت.

كان راشد يدافع عن جاسم قائلًا: إنّه ضيف قدم من خارج العين، فليس عليه أن يدفع، لكن سالمًا يردّ بالقول: إنّه كان عليه أن يتظاهر بالرغبة في الدفع ولو من قبيل المجاملة.

وهكذا حتى وصلا إلى الفندق، وسألا عن رقم غرفة جاسم، وصعدا إليه.

حين دخلا الحجرة وجدا جاسما في انتظارهما، وبصحبته شابّ قدّمه لهما على أنّه المهندس حمد. وبعد التعارف والسلام أخبرهما جاسم أنّه قدم إلى العين يوم أمس في مهمّة عمل مع زميله حمد، وأنّهما سيغادران غدًا. وما هي إلا دقائق حتى طرق باب الغرفة، ودخل الخدم بأطباق الطعام، وصفوها على طاولة الطعام. كان سالم ينظر إلى الطعام بانبهار، ولم يجرؤ أن يسأل جاسما عن مناسبة العزيمة حياء من وجود زميله حمد. لكنه قال له مداعبًا: لماذا كلّفت نفسك كلّ هذا، نصف هذه الكمية كان يكفي؟ فردّ جاسم قائلًا وهو يبتسم: لا عليك، كلّ هذا على حساب الاستضافة. استغرب سالم، وعاد يسأل من جديد: ما شاء الله. الاستضافة يدفعون حتى حساب ضيوفك؟ فضحك جاسم وهو يقول: لا لكن كمّية الطعام التي يحضرونها لنا نحن الاثنين تكفي أربعة.

جلس الأصدقاء الأربعة على طاولة الطعام، وبدأوا في تناول الطعام، وهم يتحدّثون ويمزحون. كان جاسم يعزم على صديقيه، ويضع لهما الأكل في صحنهما، وهما يقولان له: يكفي.. يكفي. وظلّ جاسم يكرّر قوله: كلوا.. كلوا يا شباب، الأكل كثير، وما

يفيض سوف يُلقى به في الزبالة.

بدا الضيق على وجه سالم، وسأل جاسمًا قائلًا: لماذا طلبت كل هذه الكمية من الطعام؟ كان يكفينا نصفها فقط. ابتسم جاسم وهو يقول: تصدق أن هذه الكمية لشخصين؟ أنا لم أطلب شيئًا زيادة عما هو مقرر لنا نحن الاثنين من الضيافة. ولما لاحظت البارحة أن كمية الطعام يمكن أن تكفي أربعة قررت أن أدعوكما الليلة لمشاركتنا العشاء. هنا غصّ سالم باللقمة في حلقه، ولم يستطع بلعها، وجحظت عيناه، لولا أنّ راشدًا تداركه بلكمة في ظهره، جعلت اللقمة تمرّ بسلام، فتنهّد سالم، وشرب كأسًا من الماء حامدًا الله على السلامة. نظر سالم إلى جاسم معاتبًا وهو يقول: تقصد أنّنا أولى من الزبالة بهذا الطعام؟ ضحك راشد، وبُهت جاسم، وأخذ يعتذر لسالم قائلًا: أنا لم أقصد هذا المعنى، وكنت أريد أن أتّصل بكما الليلة، وأتعشّى معكما، لكنّي آثرت أن أدعوكما هنا، لنستمتع جميعًا بهذا العشاء الفاخر بدل أن أكلّفكما قيمة عشاء في أحد المطاعم. هنا تبادل كلّ من سالم وراشد نظرات ذات معنى، وقال سالم وهو يبتسم موجّهًا خطابه لراشد: ألم أقل لك يا راشد ونحن قادمان إلى هنا: إنّ جاسمًا أكرم من حاتم؟

صاحب اللحية البيضاء

عبد الحميد القائد

مرَّ فاضل بالمِقابر، ونثرَ أوراقًا كثيرة في الهواء مكتوبًا في كلّ ورقة "أيها الموتى .. من ينقذ روحي التائهة من هذا الوجع العظيم؟".

كان قد سهر الليلَ كلّه، وكتب هذه العبارة على أكثر من ألف قصاصة بعد أن شعر باليأس من الأحياء الذين يزيدون ناره حطبًا، حتى الأصدقاء يسمعون صهيل روحه، ويطلبون منه الصمود، ورجال الدين يحثّونه على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره...

لا أحد رمى له بحبل النجاة أو تنازل عن قليل من فرحه له كي يريح ويستريح.

جاءته الثقافة مع الريح، لم يحرّضه أحد عليها، ولم يغوِه أحد.. الثقافة علّمته الحرية والشموخ، والحرية علّمته معنى العدالة والإنصاف والإنسانية. إنسانيته المفرطة حوّلت طريقه إلى خناجر وسكاكين وأشواك ونباتات مُرّةً كالحسك ...صار الطريق ضبابًا...والليلُ كابوسٌ حيّ لا ينام. الأصدقاء يعرفون شيئًا واحدًا فقط: اللامبالاة التي تحبس الدماء من التدفّق في الروح.

ظلّ يزور المقبرة ليليًّا، وفي وسط العتمة دأبَ أن يجلس على كرسي

أسود. مرّت أيامٌ عديدة منذ أن أطعم سماء المقبرة بتلك القصاصات التي تناثرت في أرجاء المقبرة، وانحصر بعضها خلف الحصى وشواهد القبور.

الليلُ في المقابر موحشٌ أكثر من صمت الموتى. كان يجلس ساعات طويلة في انتظار من يردّ على رسالته التي وزّعها هديةً للهواء. كان يتهيّأ له وهو جالس وسط ذلك الصمت المطبق أنّ شواهد القبور تتحرّك أحيانًا، وتارة يتخيّل مرور أطياف شفافة ترتدي أردية بيضاء تمضي بعيدًا، وتتقافز بخفّة على ارتفاعات متفاوتة .

اقترب طيف من تلك الأطياف منه في ليلة من الليالي، وسلّمه ورقة، وأشار إلى مكان بعيد. كانت كتلة من الدم ضخمة جدًّا تتدحرج في الفضاء دون أن تستقرّ في مكان، ثمّ اختفى الطيف الأبيض مثل دخان.

فتحها، كانت بيضاء تمامًا، أطال النظر، وفجأةً بزغ وجه أمّه وهي تحدّق فيه ثمّ ابتسمت ولوَحت بيديها، واختفت، وظلّت الورقة البيضاء في يده. هبّت ريح عاتية، وطيّرتها، فانطلقت الورقة وهي تعلو إلى نفس المنطقة التي شاهد فيها كتلة الدم، وفجأةً احترقت في الهواء لتضيء المقبرة، وتحيلها إلى نهار. خلال ثوان تجمّع حوله عدد هائل من الكلاب وهي تنبح دون توقّف، فجأةً توقّفت عن النباح

كلّيًّا، وبدأت تطوف حوله بحركة دائرية، وكلّها تحدّق فيه، وألسنتها ترتعش ثمّ خيمّ ظلامٌ كثيف، وحاول أن يخرج من المقبرة، لكنه فوجئ بالكلاب منبطحة على كلّ المساحات الخالية والممرّات، فشعر بالهلع، وبدأ يعدو لكي يخرج بأسرع ما يمكن، فاضطرّ أن يدوس على أجساد الكلاب .

حين تمكّن من الخروج من المقبرة وهو في حال هلعٍ عظيم، وجد أمامه شيخًا عجوزًا ابتسم له، وأمسك بيده وهو يحدّق في عينيه بعمق، وقال له: يا ولدي، حين ترحل إلى هناك، حيث الضوء مبهر لك ولسواك يقولون: إنّ ذلك الضوء سيأخذك في قارب صغير، يسير في نهر طويل ،على ضفافه أجمل الأشجار والورود. طيور ملوّنة مزركشة تطير فوقك، لتشكّل ظلًّا دافئًا. ستشعر بقطرات مطر خفيفة وناعمة تنعش وجهك، وتحييك.

إنّه البللُ الجميل. ستصل إلى مكان تغفو فيه دهرًا، وتصحو لتجد نفسك طفلًا مرة أخرى، لتعيش حياتك من جديد. تستعيد أمّك. تستعيد أباك وكلّ أحبّتك، وكأنّ أحدًا لم يرحل، ولا ألمٌ عصف بك، ولا فجيعة هبّت على روحك. ربما تمرّ من نفس السكك التي مررت بها سابقًا، أو ستمنح الفرصة كي تتفادى المسالك السابقة التي جرحتك، أو أوجعتك، أو قذفت بروحك إلى مهاوي الجحيم. سترى

كلّ النساء اللواتي عشقتهنّ وهنّ أكثر حنانًا ووصلًا وجاذبية وجمالًا. لا زواج هناك، ولا تقييد للحرية. ستعيش كريشةٍ تتطاير في النسمات. ستقذفكَ الريحُ صوب أشهى الشهوات وألذّ الطيبات وأرقّ النساء المخلوقات بجمالٍ متكامل، ليس لهنّ حاجة لأيّ مساحيق تجميل. النساء هناك نساء بلا كيد ولا مكر ولا خبث. هناك بحار لا تُغرق، وعواصف لا تُهلك، وشمس لا تحرق. هناك ستشعر أنّك في حلمٍ جميل ...حلم لا ينتهي.

ربما هذا ما حدّثوني عنه في أحد أحلامي التي تتحقّق غالبًا .

انتهى الشيخ العجوز صاحب اللحية الطويلة البيضاء من حديثه، ومضى مع الغبار .

حكاية الليلة الأخيرة

عبدالله محمد السبب

في زمن ما "1955م"، في مكان ما "سدروه"، من الرقعة الجغرافية الإماراتية الشمالية "رأس الخيمة" سقط شيء ما: رأس "جمعة موسى الفيروز إبراهيم" الذي راودته أحلامه اليقِظَة عن نفسه وعن أنفاسه، وعن رؤى لم تدر في خلد أحدٍ من قبل ومن بعد، فكان ما كان: طفل أسمر يكبر، ينمو، يتطوّر، وتعتمر رأسه بالمعرفة والفِكْر الحَسَن، فيما اسمه يتقلّصُ رويدًا رويدًا، ليكون فيما بعد "جمعة الفيروز": أديب عربيّ، ومثقّف موسوعيّ من دولة الإمارات العربية المتحدة: شاعرٌ، قاصّ، روائيّ، لُغويٌّ، موسيقيّ، تشكيليّ، وذو خَطّ جميلٍ وقلبٍ نبيل.. تمامًا كما لو أنّه "طاغور" الإمارات:

هكذا كان "جمعة الفيروز" في رَواحِهِ ومجيئِهِ، فيما كانت روحه المرحة عصفورًا نبيلًا يكافح الهواء وأمراضًا متباينة الأنفاس، مستعصية على النفس والذاكرة والفكر والحرية.

ذات مساء ...

ها نحن الآن في شهر نوفمبر "تشرين الثاني" من العام 1998م.. ففيما كان الوقت عصرًا، وفيما كنتُ مُترجلًا من سيارتي الهوندا البيضاء الصغيرة، امتثالًا لرغبة المثول في رحاب سوق "المعيريض" للسمك والخضار واللحوم في "إمارة رأس الخيمة".. لمحت "القامة الفيروزية السمراء" أمام ثلاثة أمكنة تجارية في الجوار: "بقالة الجامعة، مطحنة الجامعة، المصباح لبيع وذبح الدواجن الحية".

أستاذ "جمعة".. أستاذ "جمعة"!

هكذا أطلقتُ العنان لنداء الاستجابة للمفاجأة الذَّهَبِ الذاهبة نحو تبجيل من لم يتسنّ لي مصافحة وجهه من قبل: الأستاذ "جمعة الفيروز": الأديب العلّامَة، والعلامَة الفارقة في الأدب الإماراتيّ والخليجيّ والعربيّ العامّ..

نعم.. نعم.. من معي عفوًا؟!

وهكذا تنطلق الاستجابة الفورية الموشّحة بالتواضع والوضوح..

معك أخوك "عبد الله السبب"..

أهلًا أستاذ عبد الله .. سعيدٌ برؤيتك!

بل أنا الأسعد للقاءِ كنت أرتقبه منذ سنين!

أين تتواجد؟!

في مكتب جريدة "الاتّحاد" في رأس الخيمة..

غدًا سأمرُّ عليك..

اتّفقنا.. صحبتك السلامة..

هكذا كان الحوار، وهكذا الموعد المرتقب، وهكذا، هكذا، أشرقت شمس اليوم التالي حاملة معها إشراقة وجه الأديب "جمعة الفيروز" التي نشرت ضوء المحبّة والصداقة وصدق الوعد في مكتبي الصغير في الجريدة الكبيرة "الاتّحاد" التي كانت أُولى إشراقاتها في العام 1969م في العاصمة الإماراتية "أبوظبي"..

هكذا كان القدوم المِقْدام، وهكذا كانت "الصوغة* الفيروزية": ثلاثة مخطوطات ممتلئات بما لذّ وطاب من الأغذية والفيتامينات الثقافية، ممهورة بإهداءات إبداعية بديعة الحروف المحترفة، والمعاني المعنية بالحياة، والخطّ الجميل الجليل.

هكذا كانت هداياه المخطوطة بماء الودّ والورد، وهكذا كانت باقاتي الشعرية إليه.

مساءٌ آخر ...

ها هو زمن جديدٌ يجمعنا معًا: "23 أبريل/ نيسان 2000م"، في فرع "اتِّحاد كُتّابِ وأُدباءِ الإمارات" في رأس الخيمة.. هنالك، في بيتنا

الثقافيّ العريق، وفي ليلة ليلكية مضاءة بودّ وصدق الأصدقاء، أُشْعِلت شموع الاحتفاء في احتفالية حافلة بالشعر والمشاعر والمشاعل، حيث الباكورة الشعرية للشاعر القدير، القرير الشعر والكلمة المِشْرعة في الفضاء "جمعة الفيروز": (ذاهلٌ عبر الفكرة) التي مَهَرَ إحدى نُسَخِها لي بإمضاءة شاعرية أشبه ما تكون بوصية وثيقة الصلة بعلاقتنا المتعلّقة بالحياة والآمال، وما يعتريها من آلام ومرارات: (الصديق السبب عبد الله: الذهول لي، أمّا الفكرة فهي لك): "جمعة الفيروز".

هكذا كان الشعر، وكانت المشاعر، وكانت المشاعل، وهكذا، هكذا، هكذا انصرفنا إلى شؤون الحياة، وشجون النفس الأمّارَةِ بالمغريات، ما ظهر منها، وما بَطَن...

ليلةٌ أخيرة ...

هنالك حيث "الرمس": مسقط رأسي (1965م)، ومنبت أحلامي، ورؤاي، وآرائي، وميدان ذاكرتي، وبطولة طفولتي، وحيث ذلك العش الذي وطئته قدماي منذ ما قبل يوم عرسي (14 يوليو/ تمّوز 1994م)، حتى ما بعد يوبيلنا الفضيّ هذا (14 يوليو/ تمّوز 2019م).. حيث ليل الإثنين (19 فبراير/ شباط 2001م)،

الذي احتفينا فيه بالذكرى الثالثة لولادة ابنتنا (مُزون)، ونحن نهتف بقدومها الجميل.

في ذلك الليل الاحتفائيّ، ودون نية مُبَيَّتَةٍ تُذْكر، ودون شعورٍ حاضرٍ في تلك اللحظة الليلية الليلكية المضاءة بدفء الأُسْرَةِ، ثمّة شيء ما يشدّني من شيءٍ ما في رأسي، يُحَرِّضُني على دخول غرفة المكتب التي كانت، وعلى عَجَلٍ فعلت.. لتذهب نَظْرَةٌ سريةٌ سريعةٌ نحو رَفٍّ مهمل يستضيف مخطوطاتٍ فيروزياتٍ ثلاثة: (أصدقاء الحداثة، أحاديث الذكريات، خلاصة الشذور)..

هنالك عند حدود النظرة الغامضة المفاجِئة والمصَوَّبَةِ نحو المخطوطات الثلاثة، أسْرَرْتُ للعملاق الإبداعيّ البديع: (غدًا سنلتقي يا "جمعة الفيروز"، وسأقرأ مخطوطاتك تباعًا ... قراءةً، مكتوبة، ومنشورةً في إحدى وسائل الإعلام المقروءة).

صَمَتٌّ عن صمتي الذي هَمَسَ إليَّ في ذِهني، ثمّ خرجتُ لا ألوي على شيء، سوى الالتفاف حول الأُسْرة الصغيرة المحَدِّقَةِ في الغياب المفاجئ.. عندها أخذتُ أُنشدُ لطفلتي "مُزون".

دفعةٌ واحدةٌ ...

هكذا في صبيحة اليوم التالي: "20 فبراير/ شباط 2001م"، جاء

الغد على غير عادته.. التقيته باكرًا، ليخطرني بأنَّ البارحة التي كُنْتُ فيها مع المخطوطات الثلاثة، هي ذاتها الليلة الأخيرة للصديق والأستاذ الأديب الشاعر "جمعة الفيروز" – رحمه الله وطيَّبَ ثراه – الذي استقبل موته فيما هو مُمَدَّدٌ على فراش النوم في "الظيت الجنوبي" من إمارة رأس الخيمة..

ومات: "مساء الإثنين: 19 فبراير/ شباط 2001م".

هامش:

*"الصوغة" تعني هدية السفر التي كان الآباء يجلبونها لأبنائهم حين عودتهم من أسفار البحر في الدول الخليجية العربية المجاورة وشبه الجزيرة العربية.

سنذهب للتسوّق الليلة

عزيز ثابت سعيد

كان سعيد متأخّرًا على غير عادته ذلك اليوم، فبعد أن انتظره علي وقتًا طويلًا أمام المطعم الذي اعتادا ارتياده في الآونة الأخيرة لتناول وجبة الغداء، قرّر هذا الأخير الذهاب إلى مدرسة أخيه لمعرفة سبب تأخّره، لكن لم تكد تمرّ برهة وجيزة على انطلاقه صوب المدرسة حتى لمح سعيدًا يركض في الاتّجاه المعاكس.

"سعيد"!

كان صوت الطفل مبحوحًا.. ووجهه شاحبًا.. ومليئًا بندوب وبثور خلّفها أفواج البعوض والقمل وغيرها من الهوام التي تسكن معهما في غرفة ترابية عتيقة ملتصقة بمسجد قديم بُني قبل قرون، ولم تجدّد، ولم ينلها اهتمام من أيّ نوع، فباتت مرتعًا للقوارض والهوام التي كانت لها حصة يومية من جسديهما النحيلين الهزيلين اللذين قد فعل الجوع فيهما فعله.

لم يكن يسكن في تلك الخرابة أحد إلّا من لم تكن له أسرة تعيله .

كانا من أسرة طيّبة، اهتمّ والد سعيد بتعليمه وتلبية احتياجاته المدرسية حتى أنهى المرحلة الابتدائية، إلّا أنّ الأحوال تغيّرت فجأة،

إذ فقد والده وظيفته المؤقّتة، وأضحى غير قادر على مواصلة تعليم سعيد. لم يكن لدى سعيد من خيار إلّا الالتحاق بمدرسة مهنية تدعم ملتحقيها بإعانة مالية شهرية، فكان اختياره لمعهد المعلمين بمدينة ذمار، وسط اليمن. ولأنّ أباه بات غير قادر على تعليم أيّ من الأبناء، فقد بادر سعيد بفكرة اصطحاب علي، الأخ الأصغر في الأسرة، وهي مبادرة نالت استحسان ورضا والديه اللذين وعدا بالمساعدة كلما تمكّنا من ذلك .

سارتِ الأمور سيرًا حسنًا بداية الأمر، حيث بدأ العام الدراسيّ الجديد وهما يسكنان مع خمسة عمال بناء ينحدرون من نفس بلدتهما الريفية، وكان المعهد يدفع الإعانة المالية الشهرية بانتظام، ثمّ فجأة حدث مالم يكن في الحسبان، فقد توقّفت الإعانة المالية نظرًا لمطالبة بعض الطلبة بزيادتها، وطال هذا التوقّف فترة خمسة أشهر .

شكّل توقف الإعانة المفاجئ مشكلة لسعيد وأخيه، فما عساه أن يصنع؟ بدأ بالتفكير ببدائل ومصادر دخل أخرى تمكّنه من الاستمرار الدراسيّ.

كان أحد هذه البدائل المتاحة صياغة عرائض والتماسات لأناس من قريته، لديهم قضايا في المحكمة المركزية في المدينة، حيث كان جلّهم، لحسن حظه، أميّين، ويحتاجون إلى من يكتب لهم العرائض

للمحكمة. كان يكفي أن يوجز صاحب القضية دعواه، فيصوغها سعيد بخطّ واضح وأسلوب سلس يُرضي المستفيد ويُسعده، فيُدفع له مقابل ذلك مبلغ 5 ريالات، تساوي في ذلك الوقت ثلثي دولار. لم يكن المبلغ بالشيء المهمّ آنذاك، لكنّه كان يكفي لشراء المكونات الأساسية لوجبة منزلية متواضعة لشخصين .

كان بعض العملاء يدفعون أقلّ من خمسة ريالات، وكان سعيد يقبل أيّ مبلغ يجود به المستفيد دون تذمّر، فلم يشأ أن يشترط مبلغًا بعينه مقابل الخدمة خوفًا من نفور أصحاب القضايا منه، فهو لم يصدّق أنّه قد تيسر له هذا العمل المتقطّع الذي يساعده وأخاه جزئيًّا على الاستمرار .

كانت تلك المبالغ الضئيلة تصرف في شراء "كدم"، وهي نوع من الخبز الذي يعدّ للجيش في مخابز المعسكرات خصيصا، إلّا أنّ بعض الجنود كانوا يبيعون حصّتهم، ما جعل ذلك النوع من الخبز يسير الثمن متوفّرًا للعامّة، وفي متناول محدودي الدخل الذين ليس لديهم إمكانية شراء نوعية أفضل من الخبز.

كان ينفق ريالًا واحدًا في شراء الكدم وريالين في شراء الحليب ونصف ريال للسمن، لعمل فتة، وهي أكلة يمنية تقليدية. أحيانًا لم تكن كمية الفتة كافية، وعندها كان سعيد يحاول أن يأكل ببطء

حتى يتيح لأخيه اليافع فرصة ليشبع، وقد تأتي أيام يشحّ فيها الأكل كثيرًا، فيكتفي سعيد بالتظاهر أنّه يأكل.

لم تكن وظيفة كتابة العرائض دائمة، بل مع الوقت أصبحت قلّة قليلة تطلب الخدمة، فتفاقم الوضع، وتحوّل من سيّئ إلى أسوأ حيث نضب كلّ ما بحوزة سعيد من ريالات مدّخرة، وعندها تحتّم عليه اتّخاذ قرار صعب، فقد طلب إلى أبناء بلدته أن يعمل معهم يومًا واحدًا كلّ أسبوعين. كانت الفكرة مفاجئة لهم، فحاولوا جهدهم ثنيه عن هذا القرار، إذ أوضحوا له أنّ عملهم شاقّ، ويتطلّب حمل حجارة ثقيلة، وإعداد خلطات البناء لعدد من البنائين، لكنّه توسّل إليهم أن يساعدوه في تلبية طلبه. كان هؤلاء العمال يكنُّون حبًّا واحترامًا كبيرين لسعيد لدماثة أخلاقه وطيب معشره، ولأنّه الطالب الوحيد الذي قد أنهى المرحلة التعليمية الابتدائية من بلدتهم. كانوا يرون أنّه من غير المناسب بل من غير العدل أن يقوم طالب مدرسة صغير السنّ بعمل شاقّ كعملهم، لكن لم يكن أمام سعيد من خيار غيره .

لقد كانت ثقة والديه بحسن تصرّفه والتأقلم مع الظروف أمرًا مبالغًا فيه.

عمل أيامًا متقطّعة في مناسبات مختلفة، معظمها أيام الجمع، وهي

إجازته المدرسية الأسبوعية، لكنّه كان يشعر في نهاية كلّ يوم عمل من ذلك الشغل الشاقّ بأنّ كلّ جزء من جسده النحيل قد تهشَّم، ويظلّ متوجّعًا طيلة أسبوع كامل، لكن تلك المشقّة كانت في نظره أقلّ ألمًا من الوجع الذي قد يصيبه جرَّاء رفض طلبه لسلفة من صديق أو معروف.

كان أصدقاؤه الذين تعوّدوا إقراضه قد أدركوا أنّه لن يستطيع سداد ما عليه في القريب المنظور، وتراكمت الديون عليه، ووصل به الحال إلى أن عجز عن دفع قسطه من الإيجار الشهريّ، الأمر الذي فاقم المشكلة، وحين مرّت فترة ثلاثة أشهر دون دفع الإيجار طُلب منه إمّا الدفع أو البحث عن مسكن آخر له ولأخيه. كانت تلك هي أحلك اللحظات وأقساها .

"أين أسكن؟ إلى أين أذهب؟ هل أترك المدرسة وأعود لقريتي؟" بالطبع لم يكن في قريته مدارس وإلّا ما كان ليتجشّم عناء الغربة والشقاء، ليعيش بعيدًا عن قريته وأسرته .

لاحت له فكرة إعادة أخيه إلى القرية، أمّا هو فلم يكن خيار العودة ليرتضيه لنفسه البتة، فقد كان مصرًّا على الاستمرار حتى لو تضوَّر جوعًا.

شاء له المولى سبحانه أن يُطلع زميلًا له على الحالة المعيشية القاسية

التي يكابدها، فكان أن واساه، وأبلغه أنّه وأخًا له يعيشان ظروفًا قاسية مشابهة، ويسكنان في غرفة صغيرة ملحقة بمسجد قديم، ثمّ عرض عليه أن ينضمّ وأخاه للسكن معهما في تلك الغرفة إن رغبا في ذلك.

"عظيم!" صاح سعيد ممتنًّا لهذا العرض. كان هذا هو المكان الذي يسكنانه منذ شهرين مع أسراب من القمل والبعوض وأضراب أخرى من القوارض مختلفة الأنواع والأحجام.

كان حجم الغرفة لا يكاد يزيد على ثلاثة أمتار طول في ثلاثة عرض، ولها باب مهترئ، وسقف وجدران في حالة من التشقّق والبؤس عجيبة. لم يكن في الغرفة أيّ نافذة ولا أيّ واحدة من مقوِّمات الحياة العصرية المتمدنة، فلا ماء ولا كهرباء ولا أدوات طبخ، عدا قدر صغير متآكل و"دافور"، وهي أداة طبخ عتيقة تعمل بالكيروسين، إضافة لأطباق بالية وفناجين من الصلصال. كانت تلك الأدوات الشبيهة بالنفايات مكوّمة في إحدى زوايا الغرفة الخربة. أمّا بالنسبة للحمّام فقد كان عليهم استخدام مراحيض المسجد التي تفتح قبل مواعيد الصلوات الخمس، وإذا نسي أحدهم استعمالها قبل إغلاقها بعد الصلاة الأخيرة، أي قبيل الساعة الثامنة ليلًا، فيا سواد ليله إذ ذاك، لأنّ عليه الانتظار لوقت صلاة الفجر . عند الحالة الشديدة التي لا يستطيع أحدهم معها الانتظار للصباح،

كان أربعتهم يجتمعون كفريق واحد، ويخرجون إلى الشارع يحرسون من يحتاج إلى الذهاب للحمّام.

كانت بقعة مظلمة في زقاق ضيق أو خلف سيارة واقفة تفي بالغرض. وبالطبع قبل الخروج كان الجميع يتسلّح بحجارة في أيديهم تحسّبًا لهجوم كلاب ضالّة، يكثر انتشارها في ذلك الجزء من المدينة، أو لمخمور يحاول إيذاءَهم.

بعد الانتقال للعيش مع هذا الصديق، قرّر سعيد أن يكتفي بوجبة واحدة في اليوم، ووجبتين أو ثلاث إن أمكن لأخيه. كانت الوجبة الأساسية هي الغداء، وهي الوجبة الرئيسية في اليمن. بعد فترة اكتشف الولدان مطعمًا أو شبه مطعم يملكه رجل مسنّ، هو الطبّاخ، وهو الوحيد الذي يدير شؤون المطعم، أمّا مرتادوه فمن أولئك الذين بلغت حالهم من البؤس حدًّا يشبه حال سعيد وعلي.

كان ذلك الاكتشاف نتيجة بحث دؤوب عن مطعم رخيص.

لم يكن منظر المكان من الخارج يعطي انطباعًا بأنّه مطعم .

كان الرجل العجوز لا يطبخ إلا شيئين لا ثالث لهما: مداخيل الذبيحة أو حواشيها من كرش وأمعاء وألسنة إضافة إلى "السلتة"، الطبق اليمنيّ الشهير الذي يتكوّن من مسحوق الحلبة المخضوب مع مسحوق الطماطم والخضراوات المسلوقة واللحم المفروم أو

المدقوق. بالنسبة "لسلتة" الرجل العجوز فقد كانت فقط مرق أحشاء ذبيحة مضافًا إليها ملعقة من الحلبة المخضوبة، وما تيسّر من قطع صغيرة من المحاشي: قطعة من الكرشة وإصبع أو إصبعين من الأمعاء. على العموم يختلف مقدار ما ينالهما من يوم لآخر بحسب الحالة النفسية للعجوز. كما كان يقدّم كدما بائتة، مضى عليها أيام، لمن لا خبز لديه، وبالطبع كان الأخوان من بين من يقدّرون كرم العجوز أيما تقدير .

كان سعر الوجبة زهيدًا جدًّا، ريالًا أو ريالين، وهو مبلغ لا يكفي لكأسين من الشاي في مطعم أنيق. ورغم ما قد يتوقّع من مثل طعام كهذا، فإنّه كان يضاهي ما يُقدّم في مطعم خمسة نجوم في نظر سعيد وأخيه اللذين يأتيان جائعين بعد يوم دراسيّ طويل، وأحيانًا بعد مضيّ 24 ساعة دون أن تدخل لقمة واحدة جوفيهما .

صاح سعيد مناديًا عليًّا: "تعال هنا."

كان صوته يفصح عن فرحة لم يحسّ علي مثلها من فترة طويلة، خصوصًا خلال الأشهر الخمسة الماضية الشديدة البؤس.

"دعنا نذهب إلى مطعم"

بدا علي في حيرة ممّا سمع. "مطعم"!

كان يتساءل عن سرّ استخدام صيغة التنكير هنا، فهما يرتادان

مطعمًا واحدًا معروفًا منذ فترة طويلة.

"نعم، دعنا نستقل تاكسي، فالوقت قد تأخّر على الغداء "

"مطعم! تاكسي! ما الذي حصل؟"

"لا تهتمّ، سأقصّ عليك ما حدث فيما بعد"

ما إن وقفت لهما سيارة أجرة، حتى فتح سعيد الباب ليدخل أخوه ثمّ دخل بعده.

"إلى أين يا عيال؟" سألهم السائق.

"إلى مطعم الوادي الأخضر"، أجابه سعيد سريعًا. كان ذلك واحدًا من أفضل المطاعم في المدينة في ذلك الوقت.

مطعم الوادي الأخضر، هاه؟

"نعم، ورجاءً أسرع، نودّ أن نلحق الغداء"

نظر السائق إليهما بابتسامة يشوبها خبث: "عليكما أن تدفعا الأجرة مقدّمًا"

إضافة إلى ما عُرف عن سائقي الأجرة في هذه المدينة من سوء الخصال، وفظاظة الطبع، فإنّ وجهي الولدين الشاحبين وملابسهما البالية لم تعط السائق انطباعًا بأنّ لديهما أجرة التاكسي.

"لابأس، كم الأجرة؟"

10"ريال"

"تفضل" مناولًا إياه ورقة مئة ريال بشعور كلّه فخر وأهمّية.
"حسنًا، دعني أرَ إن كان لديّ صرف لمئة".
وما إن ناول السائق سعيدًا بقيّة المبلغ حتى كرّر عليه: "رجاءً أسرع"
ليردّ عليه السائق بنبرة سيئة: "طيّب يا ولدي."
كان محاسب المطعم، وربما مالكه، واقفًا على مقربة من الباب الرئيسيّ حين وصلا، حيث رحّب بهما بابتسامة دافئة، داعيًا إياهما للتفضل بالدخول، الأمر الذي استغرباه، فقد تصرّف بأسلوب لائق متحضّر يختلف عن أسلوب سائق الأجرة الجافي، لكن حين أدرك سعيد أنّ باقي مبلغ المئة كان مايزال في يده عَرف السبب.
بينما كانا يأكلان، سأل علي إن كانت ليلة القدر قد نزلت على أخيه، فتغيّرت الأحوال، فأجابه: "يمكنك قول ذلك، فقد دفع المعهد الإعانات المالية للشهور الخمسة الماضية، إضافة إلى ذلك فإنّ مبلغ الإعانة قد ارتفع من 100 إلى 400 ريال للشهر"
باستحياء سأل علي، وعيناه تنظران للأرض: "هل ستشتري لي قميصًا يا أخي؟ "
"حبيبي سأشتري لك ثلاثة قمصان وليس قميصًا واحدًا فقط. اكتب كلّ ما تحتاجه، سنذهب للتسوّق الليلة"

فنجان آخر من القهوة

علي عبيد الهاملي

على حدود الخطّ الفاصل بين معانقة الحياة ومواجهة المجهول كانت تودّعه، أو كان هو الذي يودّعها في حقيقة الأمر. عند الهزيع الأخير من الليل، قبل أن يرتفع صوت المؤذّن مناديًا: "الصلاة خير من النوم" كان يحمل عدّة صيده، تلك الأدوات القديمة التي لم تطلها يد الحداثة بعد. يتفقّد قاربه الخشبيّ المتهالك، يحدّق جيدًا في صفحة الماء، ينظر بعيدًا مخترقًا ظلمة الليل، يحاول أن يسبر غور البحر، أن يتنبّأ بحالة الطقس. يغريه سكون الماء، فيرفع راحتيه بالدعاء كي يوفّقه الله لصيد يوفّر عليه مشقّة الخروج يومين أو ثلاثة. وعندما ينزل يديه المعروقتين يتأمّل مقدار ما حفرت المجاديف فيهما من خطوط وتضاريس، وما تركت عليهما الحبال والأسلاك من آثار وندوب. يتحسّس باطنهما، فيخال له أنّه يلمس جدار كهف حجريّ في جوف جبل، يعجب من لونهما الذي استحال إلى السواد لكثرة ما أطبقتا على ألواح المجاديف، وما أمسكتا من أسيام القراقير[1]. يشعل فتيلة الفنر[2] القديم بعد أن يتأكّد أنّ به من الجاز[3] ما يكفي حتى العودة من الرحلة، ويضعه على سطح مقدمة الزورق

كي تتفاداه السفن الكبيرة، وتبتعد عنه التكات[4] الداخلة إلى الخور والخارجة منه في هذه الساعة المتأخّرة من الليل، حيث يكون النوم قد أطبق على أعين بحّارة السفن عادة، وتلاعب النعاس بعيون المناوبين منهم، فلم يعد بمقدورهم رؤية زورق صغير كزورقه، يحسبه الناظر من فوق سفينة كبيرة ريشة سقطت من جناح طائر، تتقاذفها الأمواج لتلقي بها حيث شاءت لها الأقدار أن تذهب أو تستقرّ. ينزل قاربه في البحر، ورويدًا رويدًا يدفعه في المياه الضحلة حتى يصل الماء إلى ما فوق ركبتيه، ثمّ يقذف نفسه داخله في حركة يعجز عن أدائها شابّ في مقتبل العمر. أمّا هو فقد أصبح يؤدّيها بخفّة لكثرة ما قام بها على مدى سنوات عمره التي جاوزت الستّين .

"فوق الستّين" إجابته التي لم تتغيّر منذ سنوات كلما سأله أحد عن عمره. كم عامًا فوق الستّين يا راشد؟ لو كان يعرف لأجاب، لكنّه هو نفسه لا يعرف عدد سنوات عمره، وليس الأمر بذي أهمّية كي يجهد نفسه لمعرفته. ففي مدينة ساحلية صغيرة في بداية الستينيات من القرن العشرين، ليس مهمًّا أن يعرف الإنسان عمره، إذ لا شيء سيترتّب على ذلك، فليس ثمّة قانون للمعاشات يحال المرء بموجبه للتقاعد عند سنّ معينة، وليس ثمّة وزارة للشؤون الاجتماعية ستدفع له إعانة تساعده على مواجهة أعباء الحياة.

الشيء الوحيد الذي سيكون للسنّ تأثير عليه هو فيما لو تقدّم للزواج من فتاة صغيرة، وتعرّض للسؤال عن سنّه .

آآآه.. لماذا تنكأ جرحًا ما فتئ ينزّ عليك يا راشد؟ لماذا تفتح أبوابًا تتحاشى أن تلمس مقابضها؟ ينظر حوله، لا شيء سوى الليل يبدّد شيئًا من ظلمته نور القمر المنعكس على صفحة الماء. ينظر ناحية السماء، يحدّد مواقع النجوم، ليعرف موقعه من البحر، يحسب كم من الوقت قد انقضى، وكم تبقّى للوصول إلى المنطقة التي رمى فيها الدوابي[5] الليلة الماضية. لا شيء سوى النجوم ترشده في عرض البحر، فليس ثمّة شجرة أو بيت أو معلم يهتدي به، وليس في قاربه بوصلة أو جهاز يستعين بهما كما يفعل بحّارة السفن الكبيرة.

على أيّ حال لم تعد هذه مشكلة لديه، فالقارب نفسه أصبح يعرف طريقه في عرض البحر لكثرة ما أبحر في اتّجاهاته المختلفة .

مرّة أخرى يعود إلى موضوع السنّ وتلك العقبة التي يمثّلها في طريق تنفيذ الفكرة التي تراوده منذ مدّة. هو لا ينكر أنه ليس شابًّا كي يغري الفتاة التي سيتقدّم لها وأهلها، ويجعلهم يوافقون عليه، ولا ينكر أيضًا أنّه ليس غنيًّا كي يشفع له ماله، فيتغاضى أهل الفتاة عن كبر سنّه إكرامًا لخزائنه العامرة. آآآه.. كم كانت حياته ستتغيّر

لو أنّ حصّة أنجبت له ولدًا كي يحمل اسمه، ويتواصل نسله، فلا ينقطع ذكره. يقسم بينه وبين نفسه أنّه لم يكن ليعترض لو أنّها أنجبت له بنتًا. كان سيقنع نفسه بأنّ المولود القادم سيكون ولدًا. بنتان.. ثلاث بنات.. لا بأس، سيظلّ الأمل قائمًا. أمّا أن تصوم تمامًا عن الإنجاب فهذا أمر فوق طاقته.

هي نفسها لم تعترض على فكرة الزواج عندما فاتحها في الأمر، وإن كان قد حاول تغليف الحديث بشيء من المزاح. لكن أين هي الفتاة التي ترضى به زوجًا والحال هذه؟.

فكر في الزواج من امرأة مقاربة له في السنّ، لكنّه خاف أن يكون قد فاتها قطار الإنجاب هي الأخرى، وعندها تصبح المصيبة مصيبتين. ناهيك عن نظرات الشماتة التي ستلاحقه بها حصّة. ليس مهمًّا أن تشمت حصّة، لكن المهمّ ألّا تشيع أنّ العيب فيه هو، فيصبح في نظر الناس عاقرًا. لا.. لا.. حصّة أعقل وأنبل من أن تقدم على فعل كهذا.

لكن ما يدريه أنّها لن تفعل ذلك؟ أليست هي في النهاية امرأة كسائر النساء؟ ألم يقل الشيخ عبدالرحمن في خطبة الجمعة قبل أيام إنّ النساء ناقصات عقل ودين؟ لم يفهم ساعتها ما يعنيه الشيخ عبدالرحمن، لكنّه يتذكّره جيدًا. حصّة ناقصة أولاد كذلك، فهي

عاقر، لم تستطع أن تهبه الذرّية التي يتمّناها .

مضى وقت غير قليل قبل أن يدرك راشد أنّه قد وصل إلى المكان الذي ألقى فيه قراقيره، وأنّ عليه أن يبدأ في سحبها لإفراغ ما بها من أسماك، والعودة إلى حيث ينتظر اليزّافة[6] وأصحاب البسطات الصيّادين في سوق السمك بفريج الضغاية[7] لشرائها منهم وعرضها للبيع، أو نقلها إلى مناطق أخرى، السمك فيها أندر وأغلى.

يسحب دوبايته الأولى.. لا بأس، فكمّية الأسماك التي فيها معقولة، كذلك الثانية والثالثة. الحمد لله، في البحر خير كثير لم يبخل به يومًا على البشر، رغم أنّ بعض البشر يبخلون بالخير الذي عندهم . في طريق العودة إلى البرّ تراوده تلك الأفكار مرّة أخرى. ثمّة فكرة تلحّ عليه منذ فترة.. لماذا لا يفعل كما فعل صديقه مطر رغم أنّه لم يكن مضطرًّا مثله، إذ لديه من الأبناء ـ ما شاء الله ـ تسعة؟ يقلّب الفكرة في رأسه مرارًا، فيستحسنها، لأنّها وحدها الكفيلة بحلّ المشكلة التي تقضّ مضجعه، وتنغّص عليه حياته .

في مساء ذلك اليوم، بعد أن صلّى العصر في المسجد، وأمضى ما يقارب الساعة في حديث جانبيّ مع صديقه مطر، عاد راشد إلى بيته، وقال لزوجته التي كانت تنتظره بدلّة القهوة في حوش البيت

كعادتها :

–   حصّة... جهّزي لي تنكة[8] الملابس، فأنا مسافر مع مطر إلى الهند في المركب الذي سيغادر الأسبوع المقبل .

لم تنبس حصّة ببنت شفة، صبّت فنجانًا من القهوة، تناوله منها راشد، وفنجانًا آخر أخذت ترتشف منه، وهي صامتة تنظر نحو باب البيت. تجمّد الفنجان في يد راشد، وارتسمت علامات الدهشة على وجهه، فهذه أول مرّة تشرب فيها حصّة القهوة المرّة منذ أن اقترن بها، وضمّهما بيت واحد قبل خمسة وثلاثين عامًا.

الهوامش:

1. أسيام القراقير: الأسيام الأسلاك، والقراقير جمع قرقور، وهو وسيلة صيد مصنوعة من الأسلاك على شكل نصف دائرة، قاعدتها مسطّحة.
2. الفنر: السراج.
3. الجاز: الكيروسين.
4. التّكّات: الزوارق ذات المحرّكات التي تقطر بها الحاويات البحرية.
5. الدوابي: جمع دوباية، وهي القرقور الكبير.
6. اليزّافة: التجار الذين يشترون الأسماك من البحارة، وعادة ما ينقلونها إلى مناطق أخرى.
7. فريج الضغاية: حيّ من أحياء مدينة "ديرة" بإمارة دبي. و"الضغوة" طريقة من طرق صيد الأسماك في الإمارات، تستخدم غالبًا لصيد أسماك العومة "السردين."
8. التنكة: وعاء مصنوع من الصفيح، كانت توضع فيه الملابس قديمًا.

نُورْبَرْت لاي

محمد أبو الفضل بدران

كان الوقت صباحًا عندما خرجتُ لأول مرة من بيتي الكائن في الحيّ القديم بمدينة بون بألمانيا حيث حطّت بي الرحال للإعداد لرسالة الدكتوراه.

وصلتُ البارحة ليلًا، لم أتبين معالم المنزل من الخارج لأنّ الوقت كان حوالى التاسعة مساء الأحد ؛ وكانت الشوارع شبه خالية، فغدًا لديهم عمل، وكم عجبتُ حين عرفت أنّ مطار كولن Koeln الذي يبعد عن بون عشرين كيلو مترًا تُغلق أبوابه كلّ يوم في الثامنة مساء حتى السابعة صباحًا لأنّ السكان المجاورين له اشتكوا من ضجيج الطائرات، لذا فقد قرّرت البلدية إغلاق المطار ليلًا حتى ينعم الناس بالهدوء.

لم أشأ أن أخرج ليلًا بحثًا عن مطعم، لذلك فتحتُ حقيبتي، وأخرجت بعض التمر الذي وضعته أمّي بها، ورحت آكل وأنا أشعر بشوق إلى الأهل والنخيل، ورحتُ أردّد قول الشاعر:

أشــوقًا ولـمَّا تمـضِ بي غيرُ ليلةٍ

فكيفَ إذا خبَّ المطيُّ بنا عشرا

نمتُ نومًا عميقًا ؛خرجتُ في الصباح ،كان المنزل مكوّنًا من قسمين متجاورين، لهما حديقة مشتركة. في أثناء خروجي لمحتُ رجلًا في الخمسين من عمره تقريبًا، يجلس على أريكة في الحديقة، بدا محلقًا في الورود بينما بسط كلبُه الأسود ذراعيه تحت قدميه. كان الشيب قد زحف إلى رأس ذلك الرجل بينما امتلأ جسمه الذي بدا كعمود من حجر أبيض. لم ينتبه لقدومي بيد أنّي بادرته بالسلام، فردَّ في برود، وواصلت سيري نحو جامعة بون حيث التقيتُ أستاذي البروفيسور اشتيفان فيلد العميد بالجامعة، تباحثنا معًا، وعزمني على الغداء، وبعد ذلك عدت إلى المنزل. كان الرجل مايزال جالسا وكأنّه لم يقف منذ تركته في الصباح، لكن لمحت بجواره امرأة، سلّمت عليهما، فاستوقفني، ومدّ يده قائلًا : أنا نوربرت لاي، جارك، وهذه روزفيتا زوجتي، وهذا "سِدْني" كلبنا الهادئ.

عرَّفتُه باسمي أيضًا، فرحَّبا بي، وعرضا عليَّ أن أجلس معهما، وحكيا لي عن المنزل ومزاياه، وعرضا عليّ أن أتناول العشاء معهما في الحديقة، فالجوّ كان صيفيًّا، وبدأ نوربرت لاي يحكي بينما راح يحتسي كأسًا من الكولا في حين أعدّت لي زوجته كوبًا من الشاي:

-أنا نوربرت لاي، إنني أميل إلى العرب بعد أن كنت لا أحبّهم، هكذا بدأ حديثه معي. في شبابي كنت أعمل عدّة أعمال بعد أن

هربتُ من بيتنا بعد مقتل أبي في الحرب العالمية الثانية وزواج أمّي من آخر لم أتقبّله، بدأت راهبًا في كنيسة قرب ميونيخ، كان العمل لا يناسبني، لكنّي وجدت فيه الملجأ. كانت الحياة صعبة بعد الحرب، كنّا نقف في طوابير حتى نأخذ كسرة خبز. في يوم من الأيام ذهبت لمشاهدة مباراة كرة قدم بين فريق كنت أشجّعه وآخر، وعندما غَلب الفريق الآخر ثُرت، شتمني أحد مشجّعي الفريق الآخر، خلعتُ الصليب المدلّى على صدري، وشججتُ به رأسه، وألقيت بمسوح الرهبان، ومضيت دونما رجعة إلى الكنيسة.

سافرتُ إلى فرنسا حيث التحقت متطوّعًا بالجيش الفرنسيّ، بعد فترة قصيرة من التدريب أرسلوني لأعمل في الجزائر، لم أكن أدرك أنّها عربية، كانت مهمّتي اقتناص الجزائريين الثائرين، كان عليَّ أن أثبت براعتي في عملي، وكم كنت قنّاصًا ماهرًا، لا يمكن أن أنسى وجوه من قتلتهم !

يتوقّف نوربرت لاي عن الحديث، ويروح في فترة صمت وندم، يشرب ما تبقّى في كأسه، فتملأ له روزفيتا كأسًا أخرى، وتجلس أمامه محدقةً ذاهلة كأنما تراه، وتسمعه لأول مرة، بينما كان سِدْني يدور حولنا.

-نعم قتلت 149 رجلًا جزائريًّا. ماذا؟ أحدّق في وجهه، لم يكن

مازحًا بل اكتسى وجهه بالحزن والدموع، وراح ينتحب ! تتدخّل روزفيتا محاولة أن تخرجه من هذه الحالة:

-نوربرت.. لماذا لم يصل العدد إلى 150؟

-هذا ما كنت أنويه حتى أحصل على الميدالية الذهبيّة، لكن المشكلة أتت عندما هممت أن أقتل "الرجل المئة والخمسين"، نفد الرصاص، طلبت من جنديّ فرنسيّ كان معي أن يعطيني رصاصة، لكنّه كان يحقد عليّ، لذا رفض حتى لا أحصل على الذهبيّة. وقف الجزائريّ يصلّي في خشوع غير آبه بمصيره، تعجّبت من قوة إيمانه، حاول الفرنسيّ أن يقتل هذا الرجل الجزائريّ الذي كان قد فرغت ذخيرته أيضًا، منعته وركلته بعيدًا، لأنّني لمحت في عيني الجزائريّ توسّلًا وعتابًا على الرغم من أنّه كان قد قتل منا خمسة رجال، أشفقتُ عليه، سجد لله شكرًا، ولأول مرة أتذوّق حلاوة الإيمان.

- سألني الجزائريّ : لماذا كنت حريصًا على قتلي ثمّ على نجاتي؟

حاولت أن أشرح له الأمور، وكان محاورًا، لم أستطع أن أجيبه عن أسئلته، كنت في نظره مجرّد قاتل، وهكذا كنت !

شرح لي قضيّته، اقتنعت، تبادلنا البنادق الفارغة ،على بندقيته حفر اسمه "عمير اليوسفي" كتبتُ له على بندقيتي :"نوربرت لاي". لم يصدّق الرجل أنّني أمامه، لأنّ شهرتي قاتلًا كانت تخيف الجزائريين!

ودّعته، وقد قرّرت ألّا أقتل مرة أخرى، صمّمت على العودة إلى ألمانيا.

حاول القادة الفرنسيون أن يثنوني عن قراري، لكن هيهات.

أيقظت كلمات اليوسفي فيّ إحساسًا لم ينتبْني من قبل، عدتُ إلى ألمانيا، لم أجد عملًا، حصلت على معاش مبكّر من الجيش الفرنسيّ، وبعد سنوات حصلت على إعانة بطالة من ألمانيا، وأعيش هنا منذ سنوات مع روزفيتا، إنّها زوجتي الثانية، أمّا الأولى فقد طلّقتني بعد أن رُزقت منها بابنتين، لا تزورانني إلّا في عيد رأس السنة رغم أنّهما تسكنان في بون، أعيش وحيدًا مع روزفيتا وسِدْني، روزفيتا كانت تعمل في إذاعة كولن، لكنّها حصلت على معاش مبكّر !

كلّ ما يؤرّقني :كيف قتلت 149 رجلًا من الجزائر؟ ولماذا؟ كيف لي أن أتخلّص من هذا العار الذي يطاردني، والذي كان مصدر فخر لي آنذاك ؟!

هذه الوجوه تزورني متوعّدة كلّ مساء، قرأت معاني القرآن الكريم، وأعجبت به، ودخلت الإسلام، عسى أن يغفر الله لي .

مازلت أحتفظ بالصور، تمضي روزفيتا لاهثة، وتحضر ألبوم الصور، ها هو نوربرت لاي بالزيّ العسكريّ، صورة مع ابنتيه وزوجته الأولى.

مضى نصف الليل وهو يحكي وينتحب، ويصمت..

تكمل روزفيتا : عندما ألمت به أزمة قلبيّة في العام الماضي نقلته إلى المستشفى القريب منّا، وعندما أفاق من غيبوبته كان هنالك رجل آخر ينام على السرير المجاور في غرفته، حدّق كلٌّ منهما في وجه الآخر، اعتدلا:

-أنت نوربرت لاي؟

- وأنت عمير اليوسفي؟

عانق كلّ منهما الآخر، وراحا في بكاء عميق.

يلتقط نوربرت لاي الحديث: لقد أخطأت في حقّ العرب، لقد كانوا ثوّارًا مقاتلين بينما كنت قاتلًا مأجورًا.

ودّعته، ومضيت، كانت مشاعري تجاهه بين الكراهية والشفقة معًا.

في مساء كلّ أحد تقريبًا كنت أجلس معهم، ليحكي فصلًا من فصول حياته التي لا تنتهي.

بعد سنوات عدت إلى الوطن، كنت أذهب إلى ألمانيا كلّ عام، لكن لم أكن أعرج نحو بون، في العام الماضي زرت بون، وبحثت عنه، قالت لي روزفيتا : لقد هجرني قبل عشرة أعوام، بحثت عنه في كلّ مكان، لم أجده، وأخيرًا عرفت أنّه يعيش في بيت العجزة، سلّم عليّ، وراح في صمت.

كنت أراه في السوق، وقد تدلّى شعر رأسه ولحيته، يجرّ كلبه سدْني الذي كان يهشّ لمرآي، أمّا هو فقد ظلّ صامتًا.

كان شعور الندم يغطّي ملامح وجهه. عدت إلى مصر، وفي آخر مرة ذهبت لألمانيا عرجت نحوه ؛ سألت موظّفة الاستقبال عنه، حدقَت في عينيّ متسائلة: هل تعرفه؟

- نعم فقد كنّا جاريْن.

- متى؟

- قبل عشرة أعوام؟

- لقد مات نوربرت لاي قبل خمسة أيام!!

"حليمة" التي أكلها البحر

محمد مقدادي

"الهراوة" قرية تجاور البحر، لكنّها تدير له من غير تردّد ظهرها، زرقته لا تعني لها شيئًا، ولا تكترث إن هو أرغى وأزبد، أو هدأ وأرسل موسيقا صمته، وشوشها داعيًا إياها لصحبة ليلة واحدة. الناس كذلك لا يأبهون بالزرقة التي تأسر ألباب القادمين، ولا يجيزون إطعام الضيف شيئًا من ثمار البحر، لأنّ كائناته لا تُذبح، ولا تسيل منها الدماء، بل لا يُقدمون أصلًا على تناولها ولو بلغ بهم الجوع أيّ مبلغ، حتى أنّ الحاذقين من أهل "مصراتة" الذين يؤمّون البحر، ويصطادون أسماكه الشهية يكونون موضع فكاهة وتندر ... ماذا يفعل هؤلاء المجانين بما تنال شباكهم من الحيتان؟ هل يأكلونها، ويطعمون أطفالهم وضيوفهم؟ كيف يأكلون ما لم تتضرّج الأيدي بدمائه؟ هل يبيعونها في الأسواق؟ وكيف يخدعون الناس، ويعرضون عليهم جيفًا تعافها النفوس؟

لكن الحقيقة التي لم يكن أهل "هراوة" يعرفونها هي أنّ "المصراتيين" الذين كانوا يجمعون حيتان بحرهم صاروا من الأثرياء، بينما ظلّ جيران البحر أوفياء لأسطورة أنّ البحر لا يحمل في جوفه غير تلك

الكائنات التي مزّقت جسد "حليمة" أشلاء قبل أن تلتهمها، وتحيلها، مثل غيرها، جزءًا من مائدتها اليومية.

"حليمة" التي شبّت على خشية جسدها من ملامسة الماء، لم يغسل البحر يومًا قدميها، ولم تتيمّم برمله وحصاه، ظلّت مثل كلّ أهل "الهراوة" تجاور البحر، وتراقبه من بعيد، ترى فيه مثلما يرون، أفراسًا مطهّمة تعتلي موجًا عاتيًا يلقي أشياء مجهولة عند الشاطئ القريب، فتدير "حليمة" ظهرها للبحر كما يفعلون ... لكن "حليمة" ظلّت تعشق ذلك الغامض الذي يحاول أن يقترب من جدران البيوت وظهورها من غير أن يستطيع الوصول، فقد لاذت القرية بكثبان الرمل العالية كي لا تمكّنه من ذوائبها المشلوحة على الرمل المحمّص بشمس تمّوز.

ذات ليلة ماطرة قرّرت "حليمة" ومعها رهط من أترابها أن يزرن البحر.

تسلّلت كلّ واحدة من بيتها تحت جنح الظلام الدامس، والتقين عند حافّة مرتقع قريب، تسلّقن ذلك المنحدر، وتشبّثن بشجيراته الضئيلة، وبقايا أعشابه شبه الجافّة خشية الانزلاق حتى بلغن الحافّة، وما إن تبدّين للبحر حتى أصابه مسٌّ من جنون. صعد الموج عند الحافّة المقابلة، هاج الماء وماج، راحت أمواجه تصعد وتهبط، وتمتدّ

وترتدّ، داعب رذاذ مائه برفق وجه "حليمة" وخدّيها الأملسين، اقتربت من الماء أكثر فأكثر، اطمأنّت بأنّ هذا البياض ليس جنّيًّا كما قالوا لها من قبل، إنّه شوق البحر للتراب وللناس الذين لا يحُجّون إليه، إنه دافئ وحميم، ولا ينطوي سلوكه على أية نيّات عدوانية تجاهها.

إذن.. لماذا الخوف؟ قالت "حليمة" محدّثة نفسها.

دنت منه، وبالغت في دنوّها وهي ترى الماء يتقدّم نحوها بشغف كبير، ويدعوها إلى حضنه ورذاذه بينما هي تحسّ لهفته للعناق ...! تقدّمت أكثر كأنّ كائنًا أسطوريًّا يناديها.

مدّت جسدها الغضّ فوق بساط الماء بينما راح الموج يدغدغ أعضاءها المستسلمة لرغبة الماء الذي اكتفى بأن ضمّ بين ذراعيه الشاسعتين "حليمة" التي لم تستجب لتوسلات قريناتها بأن تقاوم الموج، وتعود إليهنّ.

ظلّت تلوّح لهنّ بكلتا يديها أن تعالين، لا خشية بعد اليوم من الماء. إنّه البحر سيّد الكائنات وملاذها حينما يطفح الكيل بها، صديق القُرى والمتعبين، زارع الحكمة، ودليل الحَيارى في عتمة الليل البهيم! لكن الصديقات لم يأبهن بتوسّلاتها التي حطّت على موجة أخذتها إلى البعيد، البعيد الذي تؤثّثه أسطورة جنّيّ البحر، قابض الأرواح

الطّرية، عازف موسيقا الموت على الشواطئ المسكونة بالغياب، سارق الطفولة والبهجة الغامضة!

هامش:

"الهراوة" و"مصراتة" قرية ومدينة في ليبيا.

عن روح يوسف

موسى الحالول

أحدث صدور ديوان "صرخة قلم" لشاعر معروف ضجةً كبيرةً بين النقّاد والأوساط الإعلامية المناوئة لنظام الطاغية. يضمّ الديوان، فيما قرأتُ وسمعت في الإعلام، قصائد نارية تهاجم القمع والاستبداد والفساد في البلاد. ومما زاد في شعبية الشاعر وديوانه هو أنّه مؤسّس منتدى الإنصاف، أحد منتديات المجتمع المدنيّ التي انبثقت في البلاد يوم توهَّم الحالمون أن وريث العرش لن يقتفي أثر أبيه في الحكم. هرب الشاعر، كما هرب كثيرون غيره، إلى المنفى، فأتاح له هذا الوضع حرّيةً في التعبير، ما كان يحلم بها لو بقي حبيسًا في بلاده.

كنت قد التقيت الشاعر في منزل خاله يوسف قبل سنوات في المنفى الاختياريّ الذي ضمَّنا جميعًا، ولم تُتح لنا فرصة لقاء آخر، لكنّه كان يعرف نشاطي في مجال الترجمة الأدبية. كان يوسف صديقًا قديمًا لي وزميل دراسة أيضًا، لكنّي لم أطّلع على ديوان ابن أخته بالرغم من الضجّة التي أحدثها .

في رحلتي الأخيرة إلى إسطنبول، كنت أتناول الغداء في مطعم عربيّ، وحين اتّجهت إلى الصندوق لدفع الحساب، وجدت شخصًا يضع

قبضتيه الثقيلتين على كتفيَّ من الخلف ويشدّهما كأنّه يريد تثبيتهما. أنا لا أجيد المصارعة، فما الذي يمكن أن يريده هذا المصارع المتنمِّر على رجل ضعيف مثلي؟ التفتُّ مرعوبًا فإذا هو صاحبنا الشاعر المشهور نفسه. قبل أن أسلِّم عليه، خطر ببالي: كيف لشاعر أن تكون له مثل هاتين القبضتين اللتين لم أنتبه إلى حجمهما حين التقيته في المرة الأولى في بيت خاله؟

قال لي بدهشةٍ وفرحٍ ظاهرين: "إذن أنت من زبائن مطعمنا؟ مرحبًا بك مرحبًا"!

سألته بسذاجةٍ باديةٍ على مُحَيّاي: "مطعمكم؟"

كنت قد نسيت أنّ خاله قد أخبرني قبل وفاته أنّ ابن أخته قد افتتح مطعمًا – أو مقهًى – فاخرًا في إسطنبول. والحقيقة أنّ ما جذبني إلى هذا المطعم الذي وجدته مصادفةً لم يكن فخامة الديكورات، ولا قائمة الطعام المعروضة عند مدخله باللغات العربية والتركية والإنجليزية، بل الفضول لمعرفة تسميته الطريفة: بوز القلم!

منعني الشاعر من دفع الحساب وهو يقول: "عيب، يا رجل، عيب. هذه إهانة لي. أنت ضيفنا في بوز القلم ما دمت في إسطنبول".

قادني إلى زاوية خاصة بكبار الزبائن في المطعم، وطلب لي فنجان قهوة "سُكَّر زيادة ".

"كان خالي، رحمه الله، يحدّثني عنك كثيرًا منذ كنتما في الجامعة".

"وقد حدّثني عنك كثيرًا أيضًا، لكن قبيل وفاته".

تشكّلت على مُحَيَّاه سُحُبٌ داكنةٌ مفاجئةٌ، فراح يفرك رقبته بنزق .

جاءت القهوة التي طلبها، فدفعتُ الفنجان نحوه. سألني باستغراب: "ألا تشرب القهوة؟ هذا الفنجان لك"!

قلت له: "أنت طلبت القهوة على ذوقك، لا على ذوقي، لذلك أرى أنّك أولى بهذا الفنجان مني".

أحسّ بشيء من الحرج بسبب هذه الهفوة الدبلوماسية من جانبه، وبسبب صراحتي الجارحة. طلب لي هذه المرة فنجان قهوة على ذوقي أنا "بلا سكر".

قال: "تعجبني صراحتك – ربما لهذا أحبَّك خالي. وعلى ذِكر الصراحة، أريد أن أصارحك بفكرة تشغلني منذ فترة، لكن موت خالي المفاجئ قطع وسيلة التواصل معك، وحال دون تحقيقها. و يا لها من مصادفة سعيدة أن ألقاك اليوم هنا"!

قلت له: "تفضل".

"ما رأيك بديواني "صرخة قلم" الذي صدر منذ ثلاث سنوات؟"

"لم أقرأه، لكن قرأتُ جذاذتٍ عنه".

"معقولة يا أستاذ؟ إني عاتبٌ عليك".

"حالت ظروف كثيرة دون ذلك".

"لا بأس. أريد أن أطرح عليك فكرة ترجمة الديوان إلى الإنكليزية".

لم أُبْدِ أيّ استجابة .

"فهل عندك رغبة في ذلك؟"

"هذا يعتمد على توصّلنا إلى اتّفاق يرضي جميع الأطراف".

"ممتاز. كم تتقاضى على ترجمة الصفحة الواحدة عادةً؟"

"أتقاضى ثلاثين دولارًا على الصفحة الواحدة بغضّ النظر عن عدد الأسطر فيها".

أجرى حساباتٍ سريعةً في ذهنه، ثم سألني: "ألا تُراعي ابنَ أختِ أعزِّ صديقٍ لديك؟"

"بلى. كم عدد صفحات الديوان؟"

"مَائة وخمسةٌ وخمسون صفحة".

"تقصد: مئةٌ وخمسٌ وخمسون صفحة".

"ما الفرق بين ما قلتُه أنا وما تفضلتَ أنتَ به؟"

"أولًا، الرقم 100 يُكتَب 'مِئة' وليس 'مَائة.' وحتى إن كتبتَها بالألف فهي تُلفظ بكسر الميم وليس بفتحها. ثانيًا، الرقم 5 يخالف المعدود – 'صفحة' – في التذكير والتأنيث. أليس كذلك، يا نابغتَنا؟"

"الآن أدركتُ أكثر لماذا كان خالي معجبًا بك".

"رحمه الله، ارتاح من نكد الدنيا وأهلها".

"لم تقل لي: كم تريد أجرًا للصفحة الواحدة؟"

"سأخصم لك أجر خمس صفحات، إكرامًا لذكرى خالك يوسف".

أجرى حساباتٍ سريعةً في ذهنه من جديد، وقال: "يعني تريد مني مبلغ 4500 دولار؟"

"لا، هذا الأجر الذي كنت سأطلبه من زبون لا أعرفه. أما أنت فلأنّي أعرفك جيدًا فلا يمكنني إلا أن أُكْرِم ذكرى صديقي وخالِك".

"بارك الله بك، أنا بالفعل عاجز عن شكرك".

نظر إليّ والفضول يأكل رأسه .

قلت له: "لا أريد منك أيها الشاعر سوى ألف دولار لكلّ صفحة"!

"لم يذكر لي خالي قطّ أنّك صاحبُ نكتةٍ أيضًا".

"صحيح، وأنا بالفعل لا أمزح. واللهِ لستُ أمازحك".

عقدت الصدمة لسانه لحظةً قبل أن يجده من جديد.

"هل يُعقَل أن يطلب مترجمٌ مبلغ مَائة – أقصد مِئة – وخمسين ألف دولار من أجل ترجمة ديوان شعر بائس؟"

"أنا لم أقل إنّ هذا المبلغ هو أجر ترجمتي لديوانك".

"أنا لا أفهمك. أنت تتكلم بالأحجيات والألغاز. أرجوك، كلّمني بصراحة"!

"بصراحة، أنا مستعدّ لترجمة ديوانك – البائس كما أسميته أنت – بلا أيِّ مقابل كان، لكنّي لن أتنازل عن مبلغ المئة وخمسين ألف دولار الذي ذكرتُه لك قبل قليل".

"ما زلت تتكلّم بالألغاز".

"لا أريد المئة وخمسين ألف دولار لي شخصيًّا، بل أريد أن آخذها منك لأردّها إلى أيتام خالك الذي اقترضت منه هذا المبلغ، لتفتتح به بوز قلمك الفاخر هذا، ولم ترأف لحاله حتى وهو يناشدك أن تردّ إليه مبلغًا قليلًا لإجراء تفتيتٍ لحُصَيّات الكلى التي نزلت في حالبَيْه وسدّت مجرى البول، فلم يعد يقوى على التبوّل إلا بالقسطرة، وظلّ يتألّم عدّة أشهر حتى أُصيبت كليتاه بالفشل. وحين رحتَ تتجاهل مكالماته – بل غيرتَ رقم جوّالك – مات بالجلطة من شدّة القهر، وهو يراك على شاشات التلفزة تناضل باسم المقهورين".

"يبدو أنّني أخطأت العنوان".

"يبدو؟ بل هذا عينُ اليقين".

تركتُه فاغرَ الفمِ، ونهضت. عند مدخل المطعم وجدت طفلةً – بعمر ابنة يوسف – تشحذ. ناولتها مئة ليرة تركية، وقلت لها: "عن روح يوسف".

حجر الرغبة

ناصر الظاهري

"ليس هناك في المكان غير الحرّ والبرد، الجفاف والرطوبة .
النار حارّة جافّة، والماء بارد رطب، الهواء حارّ ورطب، والتراب بارد وجافّ .
من هذه الخواص يمكن للإكسير أو الزئبق الأحمر، ذلك السائل من حجر الفلاسفة أن يعطي شيئًا من الخلود، والكثير من الرغبة."

في محاولة لفهم جابر بن حيّان، ولما كانت العبادة للحجر!

في منزل المثّالة التي غاب اسمها في مهنتها عند الجيران البعيدين، لا يرد إلّا على لسان صحفيين ممّن يفرحون بأيام الافتتاح لمهرجانات أو معارض فنية مقترحة، وكأنّه واجب مهنيّ أو نقّاد قادرون على النفاذ للعبة الأصابع على الحجر .
الصومعة كما تحبّ أن تسميه في لحظات مرحها القليلة، ذلك البناء الحجريّ الذي يستقرّ في طرف المدينة، كدليل كدّ سنوات طويلة في العمل الدبلوماسيّ الخارجيّ، لرجل ضاع بين الخدمة الملكية،

والقراءات، والمتع الناقصة، والأسرة غير المكتملة، وأوجاع زوجة من بنات العمّ، لم تعش طويلًا .

في ذلك المنزل الذي تحيطه حديقة برية متوحّشة، عملت عن قصد، لكي تتواءم مع نزق الحجر، وجفاء المكان شبه البعيد، في حين تتوزّع منحوتاتها الزوايا، والأركان الصغيرة، ومرّات تجدها مبثوثة هنا وهناك، عند خاصرة البيت مثلًا، تحت شبّاك مضاء، ومزين بزجاج معشّق، في الحديقة التي تشبه مقبرة كاثوليكية في قرية صغيرة.

"حجر... حجر، ما أروع الحجر، من قال إنّه لا يطوّع؟ من قال إنّه صخر صوان، كتلة حجر؟! حجري ناطق تجري فيه دمائي وعرقي، وتلك الأحاسيس التي أبثّها له وحده، تلك الوشوشة، والحديث الصامت بيني وبينه، شوقي له، بحثي عنه، لا يدخل بيتي إلا حجر منتقى، لأنّ كلام الإزميل والمطرقة ورقص الأصابع والفرشاة، حديث همس له كلّ المعنى، يكاد يسبر الروح في متاهتها البعيدة .

الآن حين يستوي التمثال، ويصبح كائنًا مكتملًا بكلّ عافية الحجر، وحلمي المتخيّل، وحين تنطق تفاصيل الجسد، ويتهيّأ لي مثل بطل أسطوريّ تهمه الانتصارات، وأتهيّأ له مثل نساء المعبد، الشرقات

باللذة الصامتة، ينطق الحجر، وأغيب في دفئه: حجري غير الحجر!
هكذا شهقت المثّالة بحديثها ساعة التجلّي واكتمال المولود، غصّت بالفرح وهي خارجة من بحر نشوتها، وهي تغطّي التمثال، الرجل الجديد، بغطاء سريريّ أبيض، مضمّخ بسرّ عطرها.
تمضي المثّالة جلّ يومها تحاول أن تستنطق انفعالات الحجر، وتفصّل شجر الحديقة، فليس يعكّر زهو الصباح مثل وظيفة دبقة على روح فنّان، هكذا كان قرارها، رغم إلحاح معارف الأب الكثيرين الذين بودّهم تقديم خدمات مجانية لل "بيك يوسف" ووظيفته المحترمة .
كانت تعشق ظلّ الصباح، وروائح زهر الليمون، لقط أوراق الشجر اليابس المتساقط على مهل، كانت تعطي الأمور شيئًا من نكهتها، وتفصلها وفق فلسفتها الجمالية الخاصّة .
فناجين القهوة في فترة راحتها واستراحتها، تنتقل معها من ركن إلى ركن، مرة تحت شجرة التين، ومرة أخرى تحت شجر اللوز، وهي تستمتع ببرودة الجدار الحجريّ المسندة إليه ظهرها، لا يشاركها وحدتها، ووحدة فنجان القهوة، غير أصابع السيجارة التي تستلّها من العلب العديدة من ذلك الصندوق المعزّز على الطاولة.
في يومها الذي يبدأ –إذا لم يكن ليله قلقًا– في الفجر الذي يضحك مع أول ضوء الشمس، تظلّ تعمل حتى منتصف النهار، بعدها

تذهب في رحلة الماء، وتناول إفطارها الخفيف، تغطّ بعدها ساعة زمن، لتخرج من جديد هذه المرة متزيّنة، متعطّرة، لتنسج عملًا جديدًا أو نحتًا استعصى عليها في ساعات الصبح الأولى.

تبقى متأخّرة حتى العصر، بعد أن تأخذ إغفاءة داهمتها بشكل مفاجئ، وطرأت على جفنيها المتخفيين خلف نظارة سميكة، بإطارها المذهّب، وخشبها العاجيّ، والذي كان يحمل يومًا ما قيمة غاليه .

تنزل حديقتها بعد أن تصبغ الشمس كلّ الأجواء بلونها البرتقاليّ الغائب، ليخلق مع حجر الدار تلك السكينة المشتعلة.

تضحك بصوت عالٍ، إذا كان يومها على درجة من الرضا، في حين تكتفي بابتسامة خاصّة، إذا ما سارت أمور اليوم بطبيعة كسلى، تبتسم وهي تهمّ بدخول باب البيت المنحوت بطريقتها، مطبقة على ما بقي في العينين من منظر تعشقه، ولا تعوّضه المدن الكثيرة الأخرى.

الليل عندها له طقس آخر، وتدبير مختلف، فبعد أن تحضّر وجبتها النباتية، وتستقرّ زجاجة النبيذ الذي تحرص على انتقائه من أركان دافئة في مطارات مختلفة، بجنب الحواضر، وكأسها الخاصّة، تذهب من جديد إلى رحلة الماء الثانية، وترتدي خفاف الملابس، بألوانها

المدعاة للمشاغبة الليلية .

الليل عادة ما يمضي بين القراءة، والتلذّذ بالأوراق النباتية المغسولة بالحامض والخلّ، وتلك الكأس المشربة بحمرة دم الأتقياء، وحين يبدأ الجسد يرتجف بأولى هزّات النشوة، ترفع من صوت الموسيقى ليؤنسها، ويؤنس وحشة البيت، والليل الذي بدأ يغوص في ظلمته، تبقى في متعتها تلك، حتى تشعر بالخدر يسري في كلّ الجسد، ويستدعي أحزانًا مستقرّة في الرأس، ولحظات فرح كانت غامرة يومًا ما، حين كانت صغيرة، مستبشرة بتمدّد الجسد، وبداية تفاصيل النحت الأنثويّ فيه، وتلك المغامرات الصغيرة صوب براءة التكون، والتي تعنّ اليوم، وكأنّها لم تغب طيلة هذه السنين، وحده وهج النور يطفئها، لا يأتي بها إلّا هبوب الليل البارد، والتماعة الكأس التي نادرًا ما تفرغ، وإن فرغت كان الجسد يتفصّد عرقًا، منهكًا من التعب، ومن تلك النشوة حين تذهب إلى مداها، دافعة ضريبة العمر، والجمال غير المكتمل، والآفل بسرعة نحو العطب.

تتكوّم كقطعة حجر بدائية تضمّها الكنبة العتيقة، لا توقظها إلّا الأحلام التي تهاجمها بشراستها، أو تلك الكحّة التي توقظها أحيانًا في منتصف الليالي الشتوية، وحين تئنّ العظام من برودة الحجر، والصمت الذي يضفي عليه الليل شيئًا من سواد الشرّ، تسحب

قدميها، لتلقي بجثّتها على السرير الكبير، وتنغمس في فراشها الدافئ والوثير، باحثة يدها عن شبح رجل ليته كان هنا.. الساعة.

ضوء الصبح يكشف عن ملامح امرأة خمسينية، ينتعها الطول، وتصقلها النحافة، لولا سمنة العمر، وترهّل الوقت اللذان يحيطان الخصر والأرداف، ويثقلان الصدر للأسفل.

ينحسر الشعر المحنى عن الجبهة، ليضاعف من سنواتها الخمسين، والنمش المتناثر على الوجه والصدر، وقليل منه على اليدين، بتلك الأصابع الطويلة التي تشبه أصابع عازف تدرّب كثيرًا، تزيّنها خواتم الفضة والأحجار الكريمة ذات الفصوص المهيبة .

شيئان لا تجد فيهما اللمعة الحقيقية: الأظافر دائمة التكسّر والتقصّف، والأسنان التي اعتادت القهوة اليومية والنيكوتين، وحده الجلد ظلّ محافظًا على نضارة ما .

كانت دائمًا تفتّش عن حجرها الخام، تبحث عن الأشياء المركّبة من الناس، أو تخلق تلك العلاقة بين المرأة والموجودات. كان جسد الرجل هو فرحها الحقيقيّ، كانت تتعامل مع كلّ عضلة فيه، تطرقه بقوة جسد أنثى مسكونة بحرقة العطش، كان رقص الأصابع يوحي كأنّها تحمّمه بالغار، أو تغسله بعطر الورد، في لحظات النحت كانت كلّ الحواس تتجاذبها مع لغة التواصل، إلى أن يمنحها الفم

الإحساس بتلك القبلة الغائبة، تظلّ درجة رضاها محلّ اختبار، أمّا حين يكتمل التمثال فليلتها ليلة عرس وثنيّ، يظهر هيامها بالمعبود الجديد، تجلّ حضوره بطقوس الصلوات القديمة، تظلّ مثل كاهنة المعبد تتلوّى على نشيد ربّ الخصب والنماء، تتحدّى مطره، وتنتظر عشبه الذي يخضرّ حولها، ليلتها تشعل نارا من بقايا نار المجوس، وطلاسم من أناشيد الهداية الأولى، وتظلّ تطوف بالنار، وتهب للجسد انطلاقته وعفويته حتى يسقط في بحر الرجس!

تصحو بعد تلك الصلاة الوثنية، خفيفة متطهّرة من جروح النفس، وكأنّها عروس الخصب الجديدة، تفرح بلحظة التملّك التي تتمنّى لو كانت تدوم بصيغة أخرى، أي صيغة في الحياة.. حتى ولو كان ذلك الحدّاد الكافر الذي حضر مرة وهي صغيرة يركّب بوّابة البيت الكبير، كانت معجبة باليد المعروقة، المتعرّقة، وبتلك البدلة الزرقاء التي تخفي تفاصيل جسد فارع، كانت تراقب ثني الحديد ونار الأوكسجين التي تذيب كلّ شيء، كانت لحظة مراقبة طفولية، لأشياء ستحبها في أيامها المقبلة، غير أنّ نظرة الحدّاد جرحت عمرها، وشغفها بمراقبة اليد وهي تعمل .

اليوم.. ليته يأتي بكلّ رغبته الشيطانية تلك!

أمّا ذلك الذي هرب بزهر العمر الغض، وبتلك الرسائل المدرسية

الوردية، فليعش مع زوجته تطحنه لقمة العيال، ولعنة السكّري الذي حوّله إلى شبح مخضر مطارد، مثلما هرب ذلك اليوم متخلّصًا منها ومن كلّ عطاياها، متذرّعًا بأنّه عاطل عن العمل، وغير قادر على الارتباط الزوجيّ، وكلّ همّه أن يجد فرصة السفر للخليج بأيّ ثمن، ساعتها أخرجت من صندوقها الذي ورثته عن أمّها ربطة نقود، ورمتها في صدره، أخذها ولم يعد من الكويت إلّا وهو يجرجر زوجة سبقته إلى هناك، تعمل بوظيفة مدرّسة مطلّقة، وتعيل بنتًا وولدًا في الخامسة، أجبره عليها طمع مستقرّ في النفس، والأيام الرجولية في مدن السواحل التي لا ترحم!

يومها نحتت وجهًا نصفيًّا لرجل متأنّث متخنّث، ونصفه الأخر متفتّت، محفور، وكأنّ دواب الأرض جلست تنغلّ فيه، وتقتات عليه لأيام متواصلة.

استقرّ ذلك التمثال خارج البيت، ترمقه بنظرة كلما سنحت لها فرصة التذكّر أو السهو. مضت حياتها بعد مغامرة ذلك الرجل الهارب بنصف رجولته تسير نحو نجاح في الحياة والشهرة التي تحظى بها من خلال الصحف والمجلات والمعارض، وكلمات النقّاد اللعابية، والسفرات الكثيرة، والمشاركات العديدة، وجلسات زوّار طارئين من مثقّفين عابري المؤتمرات الوهمية، وعشاق فنّها، والتي عادة ما تنتهي

بقبلات من تعتعة السكر وقلّة الحيلة، والتعلّل بضرورة المبيت عند الزوجة المثقلة بنداءات الانتظار.

كانت ليالي تبتدئ بالفرح الأولي، سرعان ما يخلو البيت، وتبقى طاولات العشاء بصحونها الرابضة، والتي تتمنّى لو لم تكن تخصّها ساعتها، كلبوة ملّت من الشبع والتسافد، ليال.. سرعان ما تخبو، سارقة إتمام الفرح الأنثويّ الذي كانت تمنّي النفس به دومًا، لا يبقى عادة بعد تلك الجلسات الحميمية إلّا ما يوجع الرأس من ذكرى أم لم تستطع أن تكبر معها، وأب ستتآكله العواصم السياسية، والزوجة الثانية، وسنوات طويلة من الغياب كفيلة بأن تجعله يشبع من ابنته الوحيدة بلقاءات فاترة، سرعان ما تنتهي بكثير من العتب، والنصائح المتأخّرة والمسرّبة بلسان الزوجة الثانية!

هكذا سار بها العمر الذي كان يفرض عليها مقاييس جديدة لطريقة الحبّ، ولنوع المغامرة، كانت شروطه تزداد يومًا بعد يوم، وهي لم تعد قادرة على إعطاء سرّ الجسد المتحوّل لكلّ شخص، حتى قرع بابها ذات يوم شحّاذ أعمى يقوده طفل في الحادية عشرة من عمره، فقدّمت له من فطورها المتبقي، وأرادت أن تعطيه أشياء كثيرة بكرم . أحسّت لأول وهلة أنّه مشروعها الفنيّ الجديد، وأنّه يمكن أن يعالج البكارة الذاوية بطريقة جلفة. كانت تتأمّله وهو يأكل، وهو يشرب،

وهو يمسح شاربيه، وكيف يتحسّس الأشياء، تفاصيل الجسد، يقظة الإذنين، الأنف المتوثّب، اللحية النافرة كعشب ليل بريّ من قلّة الحلاقة .

كانت تسترق النظر حينًا إليه وهو يعبث في الفراغات، مشكّلًا حواره معها، وحينا آخر تشاركه في حديث كلّه أسئلة .

صبي الشحّاذ تنبه لنظراتها، كادت أن ترتبك، رمت في حضنه حبّة برتقال، كنوع من طلب الرضا، وتشتيت الرأس الصغير، وشراء الصمت!

بعد تجشؤ الشبع، دعا لها الشحّاذ الأعمى كعادته حين يرضى عمّا يقدّم له بطول العمر، والصحة، ومباركة الرزق، والولد، وعمار البيت.

شعرت أنّه يقولها بصدق أو هكذا أوهمت نفسها، طلبت منه أن يزورها كلما مرّ من هنا، وحاولت أن تفهمه أنّه مشروعها الفنيّ المقبل، وأنّها تريد أن تصنع منه تمثالًا.

لم يفهم كثيرًا، ولم يقتنع كشحّاذ محترف خبر الطرقات، قائلًا :

"يا ستي.. حنا دراويش على باب الله.. قولي: يا رزّاق.. يا كريم!"

قالت له بطريقة مومس مبتدئة: "سأعطيك عن شهر من العمل مئة دينار، وسآكل وجبتين كلّ يوم، وربع بطحة عرق "..

قال: " موافق.. بس انطيني فوقها علبة سيجارة كاملة كلّ يوم"
ضحكت، وقالت: "كنت لن أوافق لو طلبت ربع لفة حشيش "
برقت عينا الأعمى في الغبش، وبان نابه ضاحكًا: "والله يا ستنا.. أنت كريمة.. ومن ناس أجاويد، وأنا أستاهل عطفك."

لحظتها كانت تريد أن تسبر ما تحت ثيابه، تظاهر الشحّاذ بسواد عماه، وأتى بحركة تنمّ عن خبث علّمه إيّاها العمى من وقت مبكّر، لم تعرف ساعتها هل كان يقصدها ذلك الأعمى النجس، ليبصر طريق ظلمته نحوها، أم جاءت هكذا عفو خاطر، لم تقتنع بالثانية، لكنّها اقتنعت بعملها الفنيّ القادم. رضي هو بعرضها السخيّ، ضامنًا شهرًا من المتعة: الأكل، الأجر، قلة المشي، وكيف قادر أن يسدّ أذنيه عن مشاجرات لا تنتهي عادة كما يشتهي مع أمّ العيال بإراقة ماء ظهرها .

فقط.. بقي سؤال يؤرّقه: هل يساوي كلّ هذا العرض الذي قدّمته؟ وماذا فيه من أشياء لا يراها في نفسه؟

كان حديثًا مقتضبًا وطارئًا بين الشحّاذ وابنه، لكنّه استهلك كلّ الطريق، كانت أسئلة كبيرة لصبيّ اعتاد أن يجيب على أسئلة أبيه غير المبصرة، كان هو عينيه، لكنّه هذه المرة تمنّى لو كان هو هالة العينين! ثمّة أمر يبدو أنّه يخصّ الفحولة، تمنّى الأعمى ألّا يدركه الصبيّ، أو

يبوح به إلى أمّه الغاضبة دومًا، الحاصية عليه كلّ شيء في مسائها الضجر عادة.
قال الأعمى لصبيه المرافق: "يا بني.. دعنا نوكل وجبتين في اليوم، ونقبض الميّة دينار، ونقول لأمك، أنّا كسبنا نصف المبلغ، وعلبة سيجارة بحالها، بتدخن منها لوحدك خرطوشة بعد كل وجبة، شو رأيك؟ خلنا نقضي هالشهر دون أن تدري أمك الساحرة، هذا إذا بدك توكل زي الناس، وتطعم البرتقان عن حق، وتجرب السيجارة، وتخف المشاوير السابقة الطويلة ."
همهم الصبيّ، وتمنّى لو كان يعرف كلّ شيء بسرعة ووضوح.
تتالتِ الأيام من حضورهم قبل الموعد، كعادة الناس المغبشين قبل أن يخطف الطير رزقهم، والذي كان يضايق المثّالة، ويشكّل ضغطًا لا يتناسب مع إيقاع يومها الذي تشتهيه أن يسير كمجرى الماء.
الابن ظلّ يتذكّر تلك البرتقالة الناضجة التي رميت في حضنه ذاك النهار، وذلك الفطور الذي حافظ على موعده في الحادية عشرة والنصف تقريبًا، وذلك الظلّ الذي يجلب نعاس الظهيرة الذي ترسله شجرة التين الكبيرة، ونظرات تلك المرأة التي حاول أن يفهمها بعمر لذّة الاستمناء، ويفهم كلامها العذب، مثلما حاول أن يتصيّد لها تشكيلا أنثويًّا يسحبه إلى تلك الفرشة المتهالكة الرطبة، وصور آخر

الليل العارية، والذي يستدعيها العمر في المخيّم البائس.

الأب جلس بعد تلك الأيام المقلقة مع ابنه بعد عودة المساء، كان يريد أن يعرف منه شيئًا نسيه أو شيئًا يريد أن يفيض به، ولما اطمأنّ دونما جواب من الابن ذهب متسلّلًا يتعكّز على أصابع يديه، ويتلمّس خطواته في الظلمات، ورضي بالسكون، ومشاغبة امرأة عرفها باللمس، ونشدان النشوة معها من تلك التضاريس التي تلتقي بالأصابع، وتستدلّ عليها دونما عناء، منتزعين الرغبة الساكنة من وجع التعب اليوميّ، الذاهب في المشاحنات واللغو وتفاصيل الأولاد، ومضايقات الحارّة المكتظّة، وسكّانها الذين يجبرهم الفقر على خلق يومهم وعوالمهم، وتلك الأمور الصغيرة التي تعطي الحياة حيويّتها الناقصة أحيانًا.

لم يكن ليستطيع في ذلك المساء، وهو يلامس زوجته من عدم إدخال صوت المثّالة طرفًا بينهما، أو محاولة خلق تمثال لها في ظلام العيون. كانت الصورة الجديدة فاعلة، مثلما هي الليلة، حيث كانت ضحكة زوجته ورضاها قد تحوّلا إلى يدين ناعمتين، مسّدتا ظهره وأطرافه المتيبسة، وجعلتاه يخرّ في سبات لم يستدعه طويلًا.

كان حضوره اليوميّ إلى دار المثّالة يتبع ابنه، لا شكّ أنّه أربك برنامجها، ووتيرته الكسلى بلذّة، لكنّها حاولت أن تكيّفه بقدر ما

استطاعت، وبقدر فهمه وفهم ابنه، حتى وضعتهما على خطّ سيرها، وضمن تفاصيل يومها المجبرة عليه بفعل مهنتها.

الابن كان في بدايته ملازمًا أباه، إلى أن اخترعت له ألعابًا تتناسب وسنّه الراكضة نحو الرجولة المبكّرة، فقد ضمنت سكونه وركونه بذاك الجهاز المدهش الذي قلما تفتحه إلّا إذا كانت هناك برامج تسجيلية، أو أخبار لا تسرّ خاطرها، أو تلك التي تذكّرها بوجع الوطن القديم، والقرى المتناثرة على الضفة الأخرى المنسية. كان التليفزيون مسكن الصبيّ، والأفلام التي تبثّ بالأبيض والأسود مصدر سروره وضحكه واحتلاماته.

الأعمى في بداية الأمر اعتقد أنّ الاهتمام الموجه للصبيّ أنّه هو المعنيّ بالأمر، وأنّ وجوده هو مثل كوز الماء، فحاول أن يفهّمها أنّ لديه وجهة نظر، وأنّه رجل، ويريد أن يعرف: "الاتّفاق ما هيك يا ستنا.. وإذا بدك إياني أنا مستعد!"

كان الشكّ يسيّره مثل أيّ أعمى، فهمت المثّالة بعض نيّاته، وحاولت جاهدة أن تثبت له أنّه مجرّد مشروع فنيّ وحسب، وعليه أن يلتزم بهذا، ولا يزعجها بأموره الخاصّة في عملها، أمّا الأساسية منها فإنّها ملبّاة .

صرخ من شكّه: " لكن يا ستي .. الصبي بعده صغير، ولسا ما طرّ

شاربه، شو طلباتك.. عندي أنا.. الله يرحم والديك."
"افهم يا رجل.. خلّي الصبي يلتهي.. بدنا نشتغل ."
"أنا يا ستنا والله حاضر.. بس تشري بصباعك.. كرمك مغرقنا من تحت لفوق."
"اسمع.. افهم عليّ.. بدي أصب لك قوالب لكلّ شيء فيك."
"أنا يا ستنا حاضر.. شو ما بدك.. أنا حاضر، ولو إنّي ما فهمت.. بس خليك بعيدة عن هالصبي."
"اسمع عاد.. هلكتنا بالصبي.. شو بدي بالصبي، أنت موضوعي.. بتفهم، وإلا لا."
"ستنا مثل ما بدك.. أنا من إيدك هايّ، إلى إيدك هايّ."
"بلاش ستنا.. هلكتنا فيها."..
"مثل ما بدك."..
"تعا معي.. بدي أعمل قوالب.. بس ما بدي ولا نفّس ها."..
"حاضر يا ستنا.. الله يوفقك، وينجّح مقاصدك."
"الله يطولك يا روح.. تعا معي.. عالساكت، بلا غلبة."
"والصبي.. يا ستنا."
"خليه يشوف التليفزيون.. وإلا بدك إياه يكون أعمى زيك."..
"يا ستنا خذينا بحلمك.. نحن ناس غلابه، دراويش على باب الله."

"بلا كثرة حكي ورغي.. خلينا نشوف شغلنا."..

امتثل لها مثل صبيّ نُهر على غلطته، لكن داخله كان يستصرخ خشونة الرجل وقسوة الحياة، حين تصنع رجالها، كان يشعر بأنّه مقبل على ضوء جديد سيسعد أيامه، شعر لحظتها كأنّ مسالكه البولية تريد أن تتسرب في اتّجاهات جديدة، وبطرق سيراميكية لامعة لم تعتدها حياته في المخيّم، ولم تسمح الظروف بتجربتها على مهل.

كانت تتعامل مع جسد الشحّاذ كخامة مختلفة عن الحجر، كان أشبه بلحم ميت، وهي النباتية، ليس فيه صلابة الرخام ولا مطواعية الحجر، كان شكلًا لا يخصّها، ولم تشهد التكوين، انتظرت لحظة النضج، واكتفت بالوداع قبل الباب، وكأنّها كانت مرغمة على شيء لا تحبّه، لكن تأتيه، ففي ليلها الضجر ذاك عليها أن تهزم الرجل الهارب والعمر الهارب، وتكتفي بما تصنعه يداها !

فرّغت من طقوس يومها الشحّاذ وابنه، وطعامهما الذي لا ينتهي، فقد اشتاقت أن تبقى متوحّدة مع طقوس اعتادت أن تعطي أشياءها ظلًّا من حنين.

كلمة شكرًا كان يمكن أن تكفي، لكن في منطق شحّاذ أعمى، وابن على طريق التسوّل، فالأفضل منها فتح الثلّاجة على

مصراعيها، وتفريغها من حاجاتها التي قد تفقد صلاحيتها بعد وقت قليل.

لا تعرف لِمَ طرأت عليها فكرة الاعتقاد بفساد الأشياء، وهي ماكثة في مكانها، حرّك ذلك التفكير في وجهها عضلة نائمة، بدأت تنتفض وتتراقص بلا إرادة منها، لكنّها استسلمت لفرحة الوحدة من جديد، وأن هذا الحيّز من القلب والمكان لا يمكن أن يتّسع للكثير، وفي كلّ الأوقات .

وحده الابن ظلّ متعلّقًا بالباب، وبكلّ المسرّة التي دخلت يومه، منذ أن ولج تلك الدار، وبها كتمثال أنثويّ سكن رأسه، ولا يشبه أمّه، ولا يعرف أن يقبض عليه، كما ينبغي للحالات، وبمنحوتاتها الكثيرة، وبتفاصيل عرفها خارج عطن المخيّم، بات ليلتها ضائعا، كيف يمكنه أن يمسك كلّ تلك الأشياء مرة واحدة، ومن جديد؟ وتذكّرأكثر ما تذكّر تلك البرتقالة التي استقرّت في حضنه قبل شهر تقريبًا!

بعد واحد وعشرين عامًا وسبعة أشهر وسبعة عشر يومًا، عند ناصية الشارع الذي أخذ اسمًا جديدًا "شارع أحلام المجيدي" وفي دوار حديقته الصغيرة التي استقرّ فيها تمثال أزاح عنه الستار محافظ العاصمة اليوم، وقبل أن أتّجه لطريق منزل عرفته قدماي الحافيتان

لأول مرة، تركت شيئًا من زهر الليمون يؤنس وحشة المكان الجديد، ويذكّرها بعطر كانت تحبّه في حياتها. أشعلت الغليون، ورميت بشالي الكشميري حول رقبتي، ولم أنتظر المطر حتى يتوقّف، فقد كنت وكانت روحها، وكانت المدينة بحاجة له، في يوم استثنائيّ على الأقلّ بالنسبة لي كرجل تغيّر منذ دخل بيت المثّالة مشدوهًا، ومعنيّ بالأسئلة، يقود شحّاذًا أعمى.

مرّرت يدي المبتلّة على وجه التمثال المبقّع بالنمش، وتحسّست النظّارة السميكة، شاعرًا لحظتها بقيمة العاج، وطال تأمّلي لتلك الجبهة الحاسرة قليلًا، ثمّ طبعت قبلة الرضا على شفاه المثّالة، لا تعني غير تمجيد ذكراها، وغير الحبّ لشخص عاشر كلّ تفاصيلها، وانغمس في يومياتها، وعلّمته الكثير في آخر عمرها، والرضا على ما أنجزت يداه على هذا الحجر.

جبل بلال

نجاة الفارس

شمال شرق مدينة نابلس الفلسطينية يقع ذلك الصرح الربانيّ، منذ طفولتنا عرفناه " جبل بلال"، عندما عانقت خارطة فلسطين للمرة الأولى في حياتي، بحثت عنه فوجدت اسمه " الجبل الكبير" في ظلاله غفت قريتنا الصغيرة " واد الباذان"، كانت أول لوحة إلهية تداعب ناظري كلّ صباح هي سفح ذلك الجبل، أشجار سرو متلاصقة، متناثرة، جماعات جماعات، توحّدها الأسرار، وتجمعها الحكايات، تتخلّلها مسافات صخرية رمادية، سوداء تارة، ورمادية فضّية تارة أخرى، رموش الطبيعة ببراءتها وعفويّتها تغلّف كلّ ما تلمّ به العيون، الأشواك باصفرارها واخضرارها تداعب جبين الجبل، فتزيده رونقًا وشموخًا .

جميع فلذات الأرض تسكن هناك، سنابل سهلية يانعة، أشواك صخرية، بساتين حمضيات وفواكه، كروم التين والزيتون، تجاورها لوزيات. كلّ هذا مزيّن بأشرطة زاهية مزركشة من غرائب الزهور، ما بين الأحمر والبنفسجيّ، يختال الأصفر ثمّ البرتقاليّ يحاكيه الأزرق، نعم الأزرق .

عندما سألت جدّتي عن سرّ تسمية الجبل، قالت كباقي الجدات: إنّ بلال بن رباح – رضي الله عنه– قد مرّ من فوق الجبل، وهناك كهف يدعى مقام بلال يقع على قمّة الجبل.

منذ تلك الأيام زاد عشقي وولعي بهذا الشاهق الرحب، بات حلمًا يراودني أنّي سأصعد يومًا ما إلى قمّته عبر أشجار السرو وسط الأشواك فوق الصخور، بين الكهوف، ليست مشكلة، المهمّ أنّها ستكون رحلة رائعة ممتعة .

وكبرت، وكبرت رغبتي في تحقيق الحلم، لكن هيهات، من يوافق على اصطحابي للخوض في غمار معركة شاقّة قد تستمرّ أيامًا.

كلما حدثت والدي بالفكرة ضحك قائلًا : "الصخور والتلال تضمّنا من جميع الجهات، غامري حيث تشائين" لكنّي لا أحبّ التلال والروابي الساذجة، جبل بلال وحده حلمي الشائك المدمّى، وسط الثعابين وفحيحها، أو الذئاب وعوائها، حتى العقارب وبشاعتها، ضباع، زواحف مخيفة، ماذا يعني ذلك؟ المهمّ النهاية، القمّة الرائعة الوديعة المعطّرة بنفحات التاريخ الزكية .

تمرّ السنوات وحلمي صار معروفًا لدى الجميع، وبات البعض يشاركني تلك الأمنية، وفي أحد أيام الربيع المشرقة زارنا عمّي، وكان موظّفًا في دائرة الزراعة. قال لي :" لك عندي خبر سعيد، اليوم

سوف أصحبك إلى قمّة جبل بلال" تحسّست الأشياء حولي، لمستها، حرّكتها، تأكّدت أنّه علم وليس حلمًا، وهذه دنيا الواقع لا بحر الأحلام. لم أصدّق سمعي، صرخت: سنصعد فوق الصخور، وبين ظلال الشجر تمامًا كالسلاحف الصغيرة .

قال عمّي: مهلًا، مهلًا سنصعد بالسيارة.

قلت : يا إلهي، أيّ سيارة؟ ليس هناك طريق معبّد .

قال : بلى –يا عزيزتي– هناك طريق معبّد يمرّ خلف الجبل، وبحكم عملي حصلت على تصريح للمرور عبر هذا الطريق، لأتفقّد الأشجار الحرجية على الجبل .

ذابت بعض أحلامي، لكنْ شيء أفضل من لا شيء، سأذهب مع عمّي برفقة آخرين .

سارت بنا السيّارة باتجاه الجبل، لكن يا إلهي.. ما هذا ؟

عمّي : هذه مستعمرة إسرائيلية تحتلّ القسم الأكبر من ظهر الجبل.

قلت : الآن فهمت هذه الطريق، هم شقّوها .

ذبلت فرحتي، لم أعد أريد إتمام المشوار، حتى صديقي العملاق الشامخ، الأصعب، الأقوى، له وجه آخر مظلم، تساقطت أحلامي، تناثرت أدمعي، دفنت مهجتي على قمّته، صرخت بأعلى صوتي: أيرضيك هذا يا مقام بلال؟! أيرضيك هذا يا مقام بلال ؟ !

العمليّة

نجيب سعيد باوزير

جوّ من العذوبة والجمال يغلّف كلّ شيء في المستشفى، وربما بالذات في ذلك الجناح الذي حلّ به لإجراء عملية له.. الأروقة تلمع، وتشعّ أرضياتها وجدرانها بالنظافة الفائقة، والتكييف والهدوء المريح للأعصاب الذي يكاد يقضي على معاناة المريض حتى قبل أن يبدأ العلاج، وملائكة الرحمة بأجسادهنّ البيضاء يخطرن في بياض الثياب كالنسمات الحالمة. حتى تلك الرائحة الخاصّة للمكان بدت له محبّبة تدغدغ الحواس.

سحره ذلك الجوّ الذي يغلّف كلّ شيء، وبدّد مخاوفه وهواجسه الطفولية إلى حدّ بعيد، ففي مثل سنّه الصغيرة التي لا تتجاوز الحادية عشرة لم يكن من الممكن أن ينتزع نفسه تمامًا من ارتباطه العاطفيّ الحميم بأسرته التي عليه الآن أن ينام بعيدًا عنها لأول مرة في حياته، ولا من حنينه الطاغي إلى بلدته الوادعة التي يحبّها كثيرًا، ويحبّ أيامها ولياليها المليئة بالدفء والسعادة، ولم يكن يخطر بباله أنه سيفارقها يومًا أو أنّ هناك في بلاد الله ما يمكن أن يحتلّ مكانها الأثير في نفسه. كانت تلك أول تجربة له في السفر البعيد، جاء من بلدته

القابعة هناك في تلك البقعة النائية من الشريط الساحليّ إلى هذه المدينة التي تعجّ بالناس، وتفيض بالبهاء والرونق، جاء إلى جنّة عدن، وأسبغ خيال الطفولة الجامح على المدينة جمالًا فوق جمالها.. فالأشياء كلّها: الشوارع والمحلّات والبيوت ووجوه الناس، كلّ ذلك كان يشكّل أمام عينيه لوحة رائعة باهرة الألوان والظلال، وعندما دخل المستشفى غرق في جوّ العذوبة والجمال الذي يغلّف كلّ شيء، وأيقن أنّه في أحسن روضة من رياض الجنّة.

علّق أحد أصدقاء أبيه مازحًا عندما زاره ووجده غارقًا في سريره الوثير، وإحدى ملائكة الرحمة الحسان تقوم على خدمته بأنّه: "ولا السلطان عوض!" طبعًا كان الصديق يريد أن يشدّ من عزيمته، وأن يخفّف عنه بعض ما قد يشعر به من آلام الوحدة والمرض. ولم يكن يخلو بالطبع من شيء من هذه الآلام النفسية، لكنّه عندما بدأ يتماثل للشفاء كان يحلو له في الصباح الباكر أن يتمشّى في الرواق المارّ بغرفته إلى نهايته حيث تقع شرفة تطلّ على منظر جميل تكتنفه الأشجار والخضرة. كان في تلك الصباحات الندية وفي إطلالته على ذلك المنظر، يشعر أنّه ممتلئ بالنشاط والعافية، وأنّه يريد أن يحتضن الدنيا كلّها.

ها هو الآن يتحرّك، ويتجاذب أطراف الحديث مع زملائه المرضى

المجاورين له في ذلك الجناح. عاد جناح الخيالات يطير به في كلّ الأجواء، فتارة يتذكّر بلدته وأمّه وجيرانه، وتارة تقفز إلى ذاكرته أغنية جميلة يودّ لو استطاع أن يدندن بها. لم تكن المشاعر الوطنية بعيدة عنه في تلك السنّ، فقد كانت كلمات الزعيم جمال عبدالناصر وصوته في تلك الأيام نوعًا من الألحان الرائعة التي تملأ الوجدان، وتهزّ المشاعر، يستوي في ذلك الكبار والصغار .

"على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله، ويرحل". كان يعجبه هذا التعبير، ويمضي متخيّلًا الاستعمار في هيئة رجل وقور ممسك بعصًا غليظة تستند إلى كتفه بينما هو منطلق في سفره مشيًا على الأقدام. لم يكن يدور بخلده وقتها أن يتساءل: لماذا كان الاستعمار يحمل تلك العصا، ألكي يلهب بها ظهر الشعوب المستعمرة أم لكي يهشّ بها على غنمه وأنعامه التي يسرقها من حقول ومراعي البلاد التي يستعمرها أم لمآرب أخرى؟! المهمّ أنّه حتى الاستعمار كان عليه أن يرحل، هكذا كان يقول عبدالناصر، وهكذا كانت تسري عدوى الحماسة الوطنية حتى بين أولئك الناس الذين لم تمسسهم عصا الاستعمار، أو الذين لم يكونوا يحسّون لذعها.

صحا الصبيّ من نومه في أحد الأيام وهو يحسّ ثقلًا في جسمه، فانتابه بعض القلق لهذا التغيّر الذي طرأ عليه بعد أن كان قد بدأ في

الأيام السابقة يصحو خفيفًا ونشيطًا. وكم كانت دهشته كبيرة عندما حانت منه التفاتة إلى يديه، فوجدهما قد كبرتا، وتكاثف الشعر عليهما! وكم كانت دهشته أكبر– دهشة تحوّلت إلى فزع – عندما أجال عينيه حوله، فلم يجد نفسه في غرفته الخاصّة بل في عنبر كبير مزدحم بالأسرّة، وعليها كثير من المرضى ذوي السحن المختلفة التي تتراوح بين الشباب الغضّ والشيخوخة المهدّمة. ما هذا؟ هل يحلم؟ أم أنه كان يحلم؟ فإنّ ما يراه حوله الآن يبدو كما لو كان سابحًا في شلّال من النور الساطع المنبعث من كشّاف قويّ معلّق في السقف أو في السماء، لا يدري، ولم تعد أحداث الطفولة إلا أشباحًا تتراقص في الخلفية الضبابية التي تكتنف رقعة النور، وهو يحاول جاهدًا التطاول والإمساك بها فلا يفلح.. حتى أحسّ بالاختناق وكأنّه في كابوس !

لم يجرؤ على سؤال أحد من المرضى المجاورين له، أو من الممرّضات السمراوات اللاتي كنّ يمررن بجواره أحيانًا في خفّة ورشاقة الظباء. كان هناك جوّ من الفوضى يعمّ ذلك العنبر، وأصوات كثيرة مختلطة تتصاعد، ورأى قطة شاحبة تتجوّل بين الأسرّة وهي ترسل مواءً خافتًا. بذل جهدًا كبيرًا جعله يحسّ بالألم في موضع العملية الذي يبدو أنّه اختلف عن الموضع الأول، حتى استطاع أخيرًا أن يفتح

فمه، وأن يطلب من الممرّضة أن تساعده في تعديل وضعه، فقد كان بالفعل يجد صعوبة في تحريك جسمه، واعتدل قليلا مستندًا إلى المخدّة، وعندما فعل ذلك بدأ يحسّ كأنّ أشعّة نحيلة من الضوء تتسلّل شيئًا فشيئًا إلى زوايا ذهنه، وكأنّه يصحو لتوّه من أثر البنج. يا للهول! إنّه الآن شابّ مكتمل الرجولة، ذلك ما تشير إليه كلّ الدلائل المنتشرة في أنحاء جسمه. وهو يحسّ إحساسًا غامضًا بأنّ شيئًا غريبًا يحدث من حوله.. هناك نظرات من التوجّس والقلق ترتسم على كلّ الوجوه المحيطة به، ليس وجوه المرضى فقط، بل كذلك وجوه الممرّضين والممرّضات الذين غيروا أغطية سريره، والذين أحضروا له وجبات الأكل، والذين أعطوه بعض العلاجات. في الليل الذي لم يستطع أن ينام فيه تناهى إلى سمعه صوت أناس يتسامرون، ويختلط بأصواتهم صوت مذياع. عرف من العبارات التي وصلت إلى سمعه أنّ بالعنبر بعض المقاتلين الجرحى من رجال المقاومة الفلسطينية، وفهم أنّ هؤلاء من بين المرحّلين من مدينة بيروت.. تذكّر أنّ بيروت هي عاصمة بلد عربيّ اسمه لبنان، كثيرًا ما تغزّل به الشعراء، وكان عنوانًا للحرية والانفتاح والازدهار الثقافيّ.

قفزت إلى وعيه أفكار وخيالات عن أحداث لم يعشها، أو يسمع بها في طفولته، وكان يخيّل إليه وهي تمرّ عبر شاشة دماغه أنّها

مصحوبة بمؤثّر صوتيّ صادر عن المذياع كما لو كان هناك من يسرد تفاصيل نشرة إخبارية تغطّي ردحًا طويلًا من الزمن: نكسة حزيران، استقلال الجنوب اليمنيّ، رحيل جمال عبدالناصر، حرب أكتوبر، الحرب اللبنانية، زيارة أنور السادات للقدس، قيام الحزب الاشتراكيّ اليمنيّ، حرب الخليج.. و.. و.. و.. واجتياح إسرائيل لجنوب لبنان، ورحيل المقاومة الفلسطينية من بيروت!

إذن فعبدالناصر قد رحل، ذهب إلى بعيد. والفلسطينيون رحلوا، شُرّدوا من جديد.

لكن ماذا عنه هو المسجّى هنا على سريره؟ ألا من يخبره إلى أين كان رحيله؟ لا بدّ أنّه في رحلة ما، وإن لم يكن يدري ما كنهها.. كلّ ما يعرفه أنّه مريض في مستشفى قد أجريت له عملية، هذا ما هو متأكّد منه جيدًا، ولا يهمّ إذا كان موضع العملية قد تغيّر، فلن يجهد نفسه كثيرًا في البحث عن سرّ ذلك. يكفي أنّه وجد شيئًا يجمع بين حالين متناقضين في إهابه.

هكذا أقنع نفسه أخيرًا عندما وجد نفسه مشدودًا بين هذين القطبين: الطفولة والرجولة.. أجل، إنه وهو رجل يحسّ أنّه ما زال صبيًّا، أو أنّه وهو الصبيّ يحسّ الآن أنّه صار رجلًا، لكنّه مع كلا الإحساسين موقن أنّه مريض وخاضع لعملية ما!

لكنّه ما إن وصل إلى هذه الحالة من الاقتناع حتى تحسّس موضعًا في جسمه لا بدّ أنّه موضع العملية الجديد، فوجد أنّه ينزّ بسائل معيّن.. أيّ سائل هذا؟ لا شكّ أنّه دم. سرت في بدنه رعدة، وأراد أن يوقف انسياب السائل، فبسط راحة يده مغطّيًا الموضع، وضغط بقوة، فتلطّخت يده، وتدفّق الدم أكثر فأكثر ثرًّا ودافئًا، فسارع إلى ملاءات وأغطية السرير يكوّمها واحدة تلو الأخرى في وجه فيضان الدم، وإذا بالبياض يتلطّخ شيئًا فشيئًا حتى اكتسى تمامًا باللون الأحمر. ليس هذا فحسب، بل إنّ الدماء أخذت تنتشر، وتسيل على الأرض.. دماء.. دماء كثيرة وكأنّ هذا الثقب في جسمه عين تتفجّر من بحيرة هائلة مدفونة في داخله من هذا السائل الأحمر القاني الكريه.. ها هو الآن يصعد، ويتسلّق الجدران، وتكاد المرئيّات تغرق في العتمة عندما يصل السائل إلى ما بدا له أنّه الكشّاف المعلّق في السقف أو في السماء، فيتحلّق حوله ثمّ يزحف في بطء وإصرار ملتهمًا دائرة الضوء التي تصغر شيئًا فشيئًا حتى تتلاشى تمامًا، ويغرق كلّ شيء في ظلام دامس وسكون شامل، كما لو كانت نهاية الدنيا!

في اليوم التالي وجد صاحبنا جسمه مبلّلًا تمامًا من أثر الطوفان الذي غمر كلّ شيء في الليلة الماضية والذي - يا للعجب — أبقى عليه

حيًّا رغم كلّ تلك الدماء التي نزفت منه.

لكنّه عندما تحسّس جسمه لم يجد للسائل ذلك اللون الرهيب ولا الملمس اللزج، بل وجد سائلًا آخر.. إنّه العرق، عرق يتفصّد من جميع مسامات جسمه، وليس من ذلك الثقب اللعين فقط! شعر بالارتياح مع برودة العرق الذي اغتسل به، واستكان إلى استرخاء وسلام نفسيّ، وإذا بوجه أبيه يطلّ عليه مبتسمًا ابتسامة شعر أنّها تحمل معاني كثيرة.. كأنّه يعرف كلّ شيء! أجل، لا شكّ أنّ أباه يعرف الكثير – هكذا كان يعتقد دائمًا – فلا داعي إذن لأن يقصّ عليه ما مرّ به، أو ما رآه من أحداث، أو لعلّه شعر أنّه حتى إن أراد أن يتكلّم فلن يجرؤ.

كلّ ما فعله عندما عاد إلى بلدته الوادعة أنّه انكفأ متكوّمًا على نفسه في حجرة أبيه وهو ينشج ببكاء مرّ مكتوم. وعندما أخذ أبوه يربت عليه بحنان، ويسأله عن سرّ بكائه انفجر يردّد من خلال النشيج: لن أسافر، لن أسافر!..

هامش:

نشرت في صحيفة (الشرارة) الصادرة في المكلا – حضرموت – بتاريخ 22 يونيو 1988م .

ذبحة صدرية

نصر بدوان

لم يشعر كيف أغمض جفنيه، ولا كم من الوقت مرّ, لكنّه استيقظ على كابوس . كابوس خبره قبل عشرة أعوام تقريبًا، وها هو نفس الألم يعاوده، فيمتدّ من الصدر إلى اليد اليسرى. هذا الصدر الذي بدأ يعطيه إشارات لم يأبه لها. فمنذ أسبوع بدأ يشعر بألم في الجانب الأيسر يأتي، ويذهب. ألم غير حادّ، لكنّه مزعج، إذ يضطرّه للضرب على موضعه بقبضته ضربًا خفيفًا، أو تدليكه براحة الكفّ, فيحسّ بأنّ الدم بدأ يندفع في الشريان القابع تحت أعلى نتوء القفص الصدريّ. يقول لنفسه: يبدو أنّ هذا الشريان يعاني بعض الضيق، لذا لا بدّ من ممارسة رياضة المشي, فهي كفيلة بالقضاء على هذا العارض. كذلك لا بدّ من معاودة ممارسة السباحة , كي تتولّى أمر هذه الكتف التي تضايقه بالوخز من حين لحين.

هكذا هو بارع في تبسيط الأمور، ولا يفكّر بمراجعة الطبيب، فبينه وبين الأطبّاء أزمة ثقة، وخصوصًا حينما يتعلّق الأمر بالقلب وأحواله. وذلك ليس لجهل منه بأهمّية الطبّ, لكن للحالات التي مرّت عليه، أو التي سمع بها . أقرب مثال على ذلك, حالة زوجته

التي عانت فترة من ضيق التنفس، يصاحبه ألم حادّ من الكتف حتى رؤوس أصابع اليد. وقد قال لها الأطباء ما قالوا عن القلب وما يعاني . ثمّ تبيّن وبعد معاناة مرة لأكثر من ستة أشهر أنّ الأمر لا يتعلّق بالقلب من قريب أو بعيد، إنما هي حساسية سبّبت لها ضيقًا في التنفّس،

سبّب لها إجهادًا كبيرًا وخصوصًا عند صعود الدرج مهما كان عدد الدرجات بسيطًا.

هذا بدوره سبب لها قلقًا نفسيًّا، انعكس إلى ألم في اليد اليمنى من الكتف حتى أطراف الأنامل. كلّ ذلك الألم زال عندما تناولت العلاج المناسب للحساسية، وها هي منذ عشرين عامًا تبدو معافاة، ولم تعد تواجه أيًّا من الأعراض السابقة. أليس من حقّه وقد خبر هذه المعاناة ألّا يثق؟ ثمّ ماذا لو أنّه خضع للفحص، وقدّم له الأطبّاء قائمة من المشاكل الصحية القائمة أو المتوقّعة؟ ماذا سيحصل لنفسيته المتفائلة المطمئنة؟ ألم يعش أكثر من خمسين عامًا دون مشاكل صحية تذكر؟ وما زال يتمتّع بجسم منتصب، ووجه هادئ خال من التجاعيد، وعينين تشعّان ببريق الحيوية والعافية، ونفس واثقة مطمئنّة لا تهتزّ إلّا لأمر جلل. تؤمن أنّ الحياة بطبيعتها ليست سهلة، فهي مليئة بالمشاكل، فإذا ضعفنا أمامها أعنّاها على

أجسادنا، فتضعف بدورها. يدرك هذا جيدًا فيحاول دائمًا تبسيط الأمور، ويعود للعب على عامل الزمن، فهو يرى أنّ الزمن هو حلّال المشاكل، وهو النهر الذي تغتسل فيه النفوس، فتتخلّص من معاناتها. طبعًا لم يمرّ بباله كلّ هذا وهو يعاني ما يعانيه الآن، فقد خطر بباله أنّ ما يعانيه لا بدّ أن يكون جلطة، أو ما يسمّونه ذبحة صدرية. هذا الحريق الذي اجتاح صدره مندفعًا في اليدين عبر الأكتاف. هذا الحريق المصحوب بضيق في التنفّس، الأمر الذي اضطرّه أن يأخذ نفسًا عميقًا إثر آخر . يفرك صدره بيمناه، يشعر بدوار وأنّ ما في جوفه يرتفع إلى حلقه، فيرفع جذعه، ليصبح رأسه أعلى قليلا . قال لنفسه: هي الجلطة حتمًا، وهو الموت، لكن لا بأس . إن كان الموت قد حان فلن يستطيع أحد ردّه.

خطر بباله أن يوقظ ابنه النائم بالقرب منه, لكنّه أزاح الفكرة من رأسه بالسرعة التي خطرت له. لم يوقظه إذًا، ولم يفكّر في الذهاب إلى المستشفى أيضًا، بل قرّر تقبّل الأمر ببساطة. فإن كان الموت دنا فلا بدّ من استقباله, وهنا أخذ ينطق بالشهادتين:" أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله" ردّدها أكثر من مرة، وهو يأخذ نفسا عميقًا إثر نفس. الألم يزداد شدّة، وهو يمعن في التشهّد . بدأ جسمه يتفصّد عرقًا، ينزّ من الصدر، البطن، الرقبة، الرأس،

اليدين, حتى أنّه ليقطر من أطراف الأصابع. ها هي موجة كهربائية تهزّ كيانه، وتسري في أرجائه, فيحسّ كأنّها تغادر الجسم من أطرافه القصوى.

نعم إنّه يتوقّع الموت كما توقّعه في المرة السابقة، لكنّها المعجزة هذه المرة أيضًا، فقد تلاشى الألم، كأنّه غادر الجسم مع الرعشة الكهربائية التي اعترته. كان يظنّ أنّ روحه هي التي تنسل من أطرافه، لكنّه الألم الذي زال، ولم يبقَ إلّا أثر بسيط منه في الصدر ونمنمة خفيفة في اليد اليسرى . لم يشعر ماذا حدث بعد ذلك، لكن يبدو أنّه استسلم لنوم هادئ عميق، حتى أفاق على صوت المنبّه للسحور. نهض من فراشه بنشاط وخفّة .

لكن آثار العرق كانت ما تزال على ملابسه . كان البلل ظاهرًا بل صارخًا, مما حدا بابنه أن يسأله في دهشة عمّا يرى . جاء جوابه عاديًّا باردًا ومقتضبًا: إنّه العرق، مجرّد عرق، ولم يخبره بشيء آخر . في طريقه إلى العمل بدأ يفكّر، نظر فرأى خلفه شريطًا من الأعمال الصالحة، وآخر من الأعمال الطالحة، تساءل: ماذا لو مات في هذه الليلة ؟ ماذا لو مات غدًا أو بعد غد ؟

قال لنفسه أمّا الماضي فقد كان بخيره وشرّه، وقد كتب فيما كتب، ولا سبيل لتغيير شيء منه، ولا مردّ لفائت، فقد جفّت الأقلام،

وطويت الصحف. أمّا الآتي فربما عشرون سنة أخرى. هكذا كان يخطر بباله دائمًا، فما دام يشبه أباه إلى حدّ كبير، في السحنة والصوت ولثغة اللسان، حتى الخدر في ظاهر الفخذ الأيمن، والطيبة الزائدة عن الحدّ، هذه الطيبة التي تزعجه أحيانًا، كلّ ذلك يؤكّد أنّه يشبه أباه إلى حدّ التطابق، وما دام أبوه قد جاوز الثانية والثمانين من العمر، فهو يأمل أن يعيش عشرين، أو خمسًا وعشرين سنة أخرى. لكن من يضمن ذلك ؟ من يضمنه لدقيقة أخرى، بل لثانية، بل لطرفة عين ؟! وما دام الأمر كذلك فما العمل ؟ ما الذي يجب فعله، وقد دقّ ناقوس الخطر مرّتين ؟

حدّق في البعيد, قفزت إلى ذهنه خمس وعشرون سنة أخرى. تبسّم، وترك الباب مفتوحًا على كلّ الاحتمالات.

النحلة

نوال حلاوه

كانت هيلينا تتمتَّع باسترخاءٍ تامٍّ بعد زوال حرارة الشمس الحارقة... بدأ جسدها يستيقظ بعض الشيء بعد نوم طويل منذ عودتها من عملها فجر هذا اليوم. انزلقت بهدوء إلى المسبح الَّذي كان يودِّع عائلةً معَ أطفالها... أصبح لها لا يشاركها فيه أحد. أخذت تتلذَّذ بطرطشة الماءِ ونعومته ودفئه في بداية فصل الشتاء الَّذي تكون فيه درجة حرارته منعشة، وتهدأ عواصف الطبيعة المدمِّرة فِي فلوريدا. لكن خوفها يزداد كلّ يوم على مدينتها الَّتي ستغرق يومًا فِي المحيط!

أخذت تسبح باسترخاءٍ تامٍّ حَتَّى تستعدَّ لعملها الليلي... استرخت بالهدوء، والنسيم الودود يداعب وجهها بعد أن بدأت الشمس بالزوال تدريجيًّا، وتتخلَّل الغيومَ زخَّاتٌ من أشعَّتِها الذهبيّة تغمر جسدها، فتسترخي تمامًا، وتسبح كالفراشة حَتَّى تستعيد طاقتها ويقظة ذهنها.

كانت تسبح بانسجام، تطربها زقزقة العصافير قبل أن تهجَع إلى أوكارِها على الشجر المحيط بالمسبح. أغمضت عينيها، وأرخَتْ عضلاتِها بدفء الماء... فجأةً سمعت أزيز نحلة تنازع، نظرت حولها،

فرأت نحلة صغيرة مقلوبة على ظهرها تتنفَّس بصعوبة، وتتخبَّط بجناحيها الرقيقين باستماتة... اقتربت منها رغم خوفها من النحل وتحذير الأطبّاء لها منه بعد أن تأكّدوا من أنّ لديها حساسية مفرطة من لدغ النحل، ووصفوا لها دواء عبارة عن حقنة تشتريها كلَّ شهر من الصيدلية تحقن بها نفسها إذا لدغتها نحلة... حرصت على ذلك لأشهر، ثمّ لم تعد تهتمُّ بعد مرور سنوات.

رغم ذلك هبَّت لإنقاذ النحلة، حريصةً ألَّا تمسَّها. كوَّرت كفّيها، تدفع بقوةٍ الماءَ باتّجاه قناة رفيعة تحيط بالمسبح البيضَوِيّ الشكل. وبعد جهدٍ تسرّبت النحلة بسلام، تنفّست الصُّعَداء، وعادت إلى الاسترخاء ثانيةً.

أخذت تحرِّك أطرافها، وتهدِّئ من انفعالها. وبعد أن شاهدت النحلة تخرج من القناة، فرحت لنجاتها، لكن النحلة اللعينة دارت ثمّ استدارت، وحطَّت عليها...

رفستها بهلعٍ وهي تنضح جسدها بالماء حَتَّى تُبعدها عنها، اختفت النحلة، وقرّرت هيلينا النجاة بنفسها. وضعت قدمها على أول درجة، لكن النحلة اللعينة استدارت مرة أخرى، وداهمتها، ولدغتها فِي رقبتها بسرعة البرق، واختفت بعد أن أنهت مهمّتها. بدأ جسد هيلينا يتورَّم بسرعة كبيرة. ضعفت مقاومتها بعد أن تغلغل سم النحلة

فِي دمها، وسبَّب لها حساسية شديدة. وعندما وصلت إلى المستشفى الَّذي تعمل به، هبّوا لإنقاذِها. كانت قد فقدت القدرة على المقاومة بعد أن انتفخ جسدها، وثَقُلَ تنَفُّسُها، واستسلمت لقدرِها بعد أن انتشر السمُّ فِي جسدها... بذل أطبّاء الطوارئ محاولاتٍ رهيبةً لإنقاذِها... و...

فتحت عينيها بقوة بعد أن صفعتهما عاصفة مطرية هوجاء، أيقظتها من غفوتها الهانئة...

فلوريدا – إبريل 2014

نصف ساعة ضجر

همدان زيد دماج

عندما جلستُ متراخيًا على الدرجات الإسمنتية الباردة كانت أشعّة الشمس قد استطاعت أخيرًا اختراق الغيوم القطنية المسرعة التي هجمت على سماء لندن منذ الصباح، وكنتُ حينها أشعر بالضجر.

* * *

كنتُ ضجرًا إلى الدرجة التي شعرت فيها بالرغبة في التدخين، وتحسّستُ جيب معطفي بشكل تلقائيّ على الرغم من أنّني لا أدخّن. لكنّني مع ذلك كنتُ منسجمًا لرؤية سرب نمل أحمر مبعثر رسم خطًّا معوجًّا بين فتحتين في جدران الرصيف. كانت النملات تتحرّك بنشاط محموم يمينًا ويسارًا، وتتصادم في بعض الأحيان مع بعضها، وكانت بحيرة "حوض بادينجتون" الصناعية الصغيرة التي أمامي جميلة أكثر ممّا توقعت.

ثمّة بطٌّ يسبح فيها بهدوء على صفحة المياه التي عكست صور العمارات السكنية الفاخرة المحيطة بالمكان، وكنتُ ما أزال أشعر بالضجر .

* * *

كنتُ قد تذكّرت مقولة فلسفية قرأتها أمسِ في أحد الإعلانات التجارية لشركة تأمين عالمية، لكنّني لم أعد أتذكّر من قائلها، بل لم أعد أتذكّرها الآن، كلّ ما استطعت أن أتذكّره أنّها كانت مناسبة، وأنّ لها علاقة ذكية بقطاري الذي سينطلق من محطة بادينجتون بعد نصف ساعة عائدًا بي "وحيدًا ومكسور القلب" إلى مدينتي الصغيرة في الشمال. نصفُ ساعة ليست بالوقت الطويل، وعليَّ أن أتوجّه إلى المحطّة الآن، هكذا حدّثت نفسي؛ لكنّني مع ذلك قرّرت أن أجلس بتراخٍ على هذه الدرجات الإسمنتية التي غُرست فيها بتناسق ساحر مصابيح مخفية. لا أعلم حقًّا لماذا؟ ما أعلمه هو أنّ شيئًا ما بداخلي قال لي: "تريّث"، وأنّني كنتُ مستمتعًا بسماع صوت موسيقى فلوت ينبعث من مقهى مجاور، ربما كانت لجورجي زامفير أو عازف آخر، لا يهمّ حقًّا، فقد كنتُ منسجمًا مع اللحن الجميل والمألوف، وهذا يكفي... وكنتُ، كما تتوقعون، مازلت أشعر بالضجر .

* * *

هل يعرف الإنسان لماذا يشعر بالضجر أم تراه يشعر به وحسب؟ لا أعرف، لكنّني كنتُ حقًّا أشعر بالضجر، ولهذا أخرجت هاتفي

الذكيّ من جيب المعطف الشتويّ، ومسحت شاشته الملساء الوسخة بيدي ولعابي، ودعكتها على ركبتي حتى نظفت تمامًا، قبل أن أمرّر بسبّابتي عليها، وتظهر "صورتها المحبّبة لديّ" على خلفية لوحة المفاتيح الرقمية. بدأت أضغط على الأزرار الافتراضية:5، 2، 5.. لكنّني لم أكمل بعد أن تذكّرت أنّني غير مستعدّ للقيام بأيّ شيء، وأنّ أفكاري كانت مشتّتة.. لقد تركتني، وليس هناك ما يمكنني فعله، تركتني فجأة... لا أعرف ماذا ينبغي عليّ أن أشعر به، ما كنتُ أخافه حدث، وها أنا لا أشعر حقًّا بأيّ شيء سوى بالضجر .

* * *

فجأة توقّف الزمن؛ عرفتُ ذلك من البطّ الذي توقّف انعكاسه على سطح ماء البحيرة الذي تجمّد، من الصمت الذي لف المقهى الذي كانت تنبعث منه موسيقى الفلوت الناعمة، من طنين الأذن الذي توقّف، ومن سرب النمل الذي تجمّد بلا حراك. لم أستطع أن أعرف كم من الوقت ظلّ الزمن متوقّفًا هكذا، لأنّ الوقت بطبيعة الحال كان أيضًا قد توقّف.

كلّ شيء توقّف ما عدا شعوري بالضجر .

* * *

كم كنت ضجرًا! لا أتذكّر أنّني شعرت يومًا بالضجر إلى هذا الحدّ، وكاد ذلك أن يكون ممتعًا. بدأ الزمن يتراخى؛ فسرب النمل بدأ بالحركة من جديد، وطنين الأذن عاد يغزو كهوفًا خلفية في جمجمتي.. حينها شعرت بألم حادّ في بطني عندما تبادر إلى ذهني إمكانية أن أكون قد تأخّرت عن موعد القطار الذي كان موعده بعد نصف ساعة.. كان هذا بالطبع قبل ما يقارب نصف الساعة التي جلستُ فيها ضجرًا على هذه الدرجات الإسمنتية الجميلة.

لوهلة تردّدت في رؤية الوقت، كانت يدي اليسرى تأبى أن ترتفع لتريني الوقت من ساعتي التي لاحظت حينها أنّ جزءًا من حزامها الجلديّ قد انقطع، لكن قدماي كانتا بهلع قد بدأتا بالركض نحو المحطّة.

لندن، خريف 2015

الشحنــة

وليد الزيادي

اتصال دولي من رقم مجهول، لكنّه لم يردّ.

هذه هي المرة الثانية التي يتجاهل فيها نفس الرقم، خشية أن يكون أحدًا من أقربائه أو شخصًا يعرفه يطلب معونة مالية، وذلك نظرًا للظروف الصعبة التي يمرّ بها وطنه، فالحرب دمّرت كلّ شيء جميل في بلده السعيدة، والأرض ابتلعت شباب أبنائها، وترمّلت النساء، وتيتّم الأبناء، وانتشرت الأوبئة والأمراض، وكثير من الناس لا يجدون ثمن الدواء.

لم يكن سعيدًا بتجاهل هذا الاتصال، لكنّه كان مضطرًّا خاصّة بعد أن قام بتحويل آخر مبلغ لديه لمراسيم دفن جارته العجوز التي فضلت أن تموت على فراشها بدلًا من الموت في غرفة الإنعاش في المستشفى، وتحمّل أولادها تكاليف مالية كبيرة لا طاقة لهم بها.

عند خروجه من مكتبه متّجهًا إلى منزله كان الطريق مزدحمًا جدًّا، وكانت السيارات تسير ببطء شديد. بحث عن الفلاش الذي يحتوي على أغنيات يمنية جميلة، استطاعت ألحانها الوترية أن تنسيه زحمة الطريق، وحرارة ورطوبة الجوّ، وبينما هو منتشٍ بذلك يرنّ الهاتف

مرة أخرى من نفس الرقم، فلم يتجاهل الاتصال هذه المرة، ظانًّا أنّ هناك أمرًا طارئًا أو مصيبة حلّت بأحد من أقربائه.

- ألو

- مساء الخير، كان صوتها ناعمًا ومرتبكًا... (كيف حالك يا منير)

- أهلًا، في أحسن حال، والحمد لله

- أنا الصحفية ابتسام.

- (مش معقول) عزيزتي ابتسام منذ زمن لم أسمع صوتك، لكنّي أتابع مقالاتك الجريئة بشغف كبير، وأنا أشعر بالقلق الدائم عليك. فهل أنت بخير؟ ولقد حاولت الاتصال بك أكثر من مرة ولكن هاتفك كان مغلقًا.

- نعم لقد قمت بتغيير رقمي لأسباب خارجة عن إرادتي، ولكن لا تقلق، فلولا أنّني من عائلة كبيرة ومعروفة، وقبيلتي هي التي تحميني لكنت الآن في خبر كان .

لكن لا أخفي عليك القول إنّني تسبّبت بالكثير من الأذى لأسرتي، وخصوصًا بعد أن تعرّضت لحادث سير منذ فترة ـ بفعلة فاعل ـ ، ودخلت على إثره المستشفى، وعندما خرجت ازددت إصرارًا على أن أكمل مشواري في تعرية النظام وكشف المستور وعدم السكوت

عن بؤس الواقع المرير الذي نعيشه.

لهذا فقد تمّ منع نشر مقالاتي في كلّ الصحف المحلّية، وها أنا أقوم بنشرها في الصحف العربية. وقد تمّت طباعة مقالاتي في كتاب من إحدى دور النشر في الخارج، وسيتمّ عرضه في معرض الكتاب لديكم، وكنت أرغب أن تشتري لي بعض النسخ، وأن ترسلها مع صديقة لي ستأتي إلى صنعاء بعد غدٍ.

أردت أن استأذنك قبل أن أخبرها بأن تتّصل بك غدًا، لتأخذ منك الكتب (إن كان هذا الأمر لا يزعجك).

-حمدًا لله على سلامتك أولًا، وثانيًا أهنّئك على صدور كتابك، وسأحرص على شراء الكتب وإرسالها إليك، ونظلّ على تواصل بإذن الله.

ذهب بسيّارته متّجهًا إلى معرض الكتاب، واشترى بعض النسخ من كتابها (السلام يبدأ من الداخل)، واشترى لها أيضًا رواية (الطاعون) التي قرأها أكثر من مرة، لا سيما بعد أن اشتعلت الحرب، والتهمت الأخضر واليابس في بلاده، وانتشر الخراب والفساد والظلم كالطاعون في رواية ألبير كامو. كما اشترى لها أيضًا ديوانًا لنزار قباني (طفولة نهد)، فقد أهدى هذا الكتاب لابتسام في بداية علاقتهما العاطفية، فقد كانت هي حبّه الأول، وكانا مخطوبين لبعضهما،

وعندما جاءت له فرصة السفر إلى الخارج، عارضت فكرة سفره تمامًا، فهي مؤمنة بأنّ الوطن يحتاج إلى كفاءات وعقول شبابه، وأنّ الهجرة هي هروب من المسؤولية تجاه هذا الوطن الجريح.

كان منير موظّفًا مهمًّا في إحدى وزارات الدولة، ولا ينتمي إلى أيّ حزب أو تيّار دينيّ.. وكان على وشك أن يمسك منصب نائب مدير، لكن كان يجب عليه أن ينضمّ إلى الحزب الحاكم حتى يصل إلى هذه المكانة، كما عُرض عليه أن يكون عضو لجنة دائمة في الحزب.. ولمثل هذه المواصفات كان يجب عليه أن يتخلّى عن الكثير من مبادئه وقيمه التي تربّى عليها، كأن يكون منافقًا ويقبل الرشاوى، ويمرّر المعاملات غير القانونية وما إلى ذلك. فكانت الهجرة هي الخيار الوحيد لديه .

تمّ فسخ الخطبة بينه وبين ابتسام، وتحوّلت علاقتهما من حبّ إلى صداقة حميمة.

لم يتّصل به أحد من طرفها لا في اليوم الأول ولا الثاني ولا الثالث، فظنّ أنّ صديقتها أجّلت سفرها، وأنّها ستسافر في وقت لاحق .

مرّت أيام والكتب تتنقل معه أينما ذهب، ولم يتّصل به أحد، ما أتاح له الفرصة أن يقرأ كتابها بتأنٍّ وعمق، فأصابه نوع من الغيرة على جرأتها وشجاعتها التي افتقدها منذ أن فقدها، ورحل إلى

المجهول.

اتّصل بابتسام، وسألها عن صديقتها، إلّا أنّها تحدّثت إليه بصوت حزين أنّ صديقتها تحجّجت بعدم وجود مساحة في حقيبتها لحمل ولو نسخة واحدة.

وقد وعدها بأنّه سيبحث عن أقرب مسافر، ليرسل معه الكتب، لا سيما بعد انقطاع البريد بكلّ أنواعه. شكرته كثيرًا، وسعدت أيضًا بالكتب الأخرى التي اشتراها لها.

مرّ أسبوع آخر ومنير يبحث عن مسافر، فقد كان يظنّ أنّ المهمّة سهلة، لكنّها كانت صعبة للغاية، خاصّة لعدم وجود طيران إلّا إلى عدن ثمّ المرور برًّا إلى صنعاء.

الشيء الوحيد الذي يحمله المسافر معه مكتوبًا هو جواز سفره، أو أوراق طبية، و من يحمل في يده جواز سفر أو بطاقة شخصية فقد يكون انتماؤه إلى عائلة معينة أو قبيلة ما يسبّب له الهلاك، أو الكثير من المشكلات لأيّ طرف من الأطراف المتنازعة، دون أن يكون له يد في هذا النزاع سوى أنّه ابن لهذا الوطن، ولديه أسرة يعيلها بل أسر يهتمّ بها، وخاصّة بعد اشتعال الفتنة وانهيار الاقتصاد في أرجاء المعمورة. فكيف بمن يحمل كتابًا فكريًا أو ثقافيًا؟.

إن استطاع أن يعبر بهذه الكتب من المطار رغم التدقيق الشديد

فكيف سيتجاوز العديد من نقاط التفتيش البرّية التي لا تعدّ ولا تحصى إلى صنعاء، ناهيك عن عصابات النهب والسلب وقطّاعي الطرق؟ أوليس من الأجدر أن ينجو المسافر بنفسه أولًا وأخيرًا؟

في آخر محاولاته لتوصيل الكتب إلى ابتسام، اتّصل بصديق له، وهو تاجر يقوم بشحن بضائع عن طريق البرّ إلى اليمن، وطلب منه راجيًا أن يقوم بدسّ الكتب في إحدى بضائعه التي يشحنها.. وقد وعده التاجر أنّه سيقوم بتهريبها (أي الكتب) مع شاحنة ستتّجه إلى صنعاء خلال الأسبوع المقبل، فشكره منير على هذه الخدمة التي لن ينساها له طوال العمر.

عندما علمت ابتسام بهذا الخبر فرحت كثيرًا، وكانت تنتظر على أحرّ من الجمر.

بعد عشرة أيام تقريبًا اتّصل التاجر بمنير ليعلمه بأنّ الشحنة مرّت عبر الحدود بسلام، وعبرت العديد من نقاط التفتيش إلّا أنّ إحدى هذه النقاط القريبة من صنعاء، اكتشفت مكان الكتب عن طريق أحد رجالها، والذي برقت عيناه، وسال لعابه لاكتشافه هذه الوليمة الدسمة، فذهب مسرعًا إلى المشرف العام الذي كان أمّيًّا، فتصفّح الكتب جميعها بالمقلوب، وغضب غضبًا شديدًا دون أن يعي صفحة واحدة منها.

كما أمر بتفتيش المركبة مرة أخرى بدقّة شديدة للبحث عن كتب أخرى وكأنّها ممنوعات أو مخدّرات، وكادوا أن يحجزوا البضاعة برمّتها، فاضطرّ السائق أن يدفع مبلغًا كبيرًا من المال للإفراج عنها وترك الشاحنة تمضي في سبيلها بأمان، وعلى شرط أن يقوم السائق بإحراق الكتب بيديه.

ميتشيجن 15 فبراير 2020

جذور

يوسف الحسن

مضت سنوات لم يذهب خميس إلى سوق المدينة القديم، ترجّل من سيارته، ومشى متأمّلًا ما طرأ على الأمكنة من تغيّر.

اصطدم بالزحام، وتعجّب من كثرة الأقوام و الملل و النحل وهم يتقافزون بين سيل السيارات المتزاحمة، كم تبدّلت وجوه الناس .

توقّف أمام فرن إيرانيّ، وتذكّر يوم كان يحمل في يديه أرغفة الخبز الطازج ,والبخار الساخن يندفع من فمه المفتوح، وهو يتلذّذ بأكل الخبز قبل أن يصل إلى بيت أبيه ,عابرًا أكوامًا من الرمال.

تذكّر والده ,ووجهه الناعم السواد, وهو يجلس على حافة طينية في (عشيش) لبيع السمك والليمون والتمر في سوق التجار الهنود القادمين من السند. وكيف كان هذا الدكان الصغير المشيد من سعف النخيل ,يتحول بعد الغروب إلى مكان يأوي إليه مع شقيقه فيروز، وتذكّر كيف كان يقضي حاجته عند الغروب أو قبيل الفجر على شاطئ البحر، حيث يغسل سرواله وثوبه الوحيد مرة في الشهر, وغذاؤه اليوميّ لا يزيد على التمر والسمك.

تعلّم من والده و جارهم (المطوّع) قراءة القرآن، ومع مرور الوقت

تعلّم اللغة العربية، ونسي تلك المفردات الغريبة التي كان يسمعها من والده، لكنّه يذكر أنّ من بينها ألفاظًا عربية, و تتداخل فيها لهجة أفريقية سواحلية. حاول أن يسترجع ملامح صور أمّه, لكنّها ظلّت مهزوزة غير واضحة المعالم، أحيانًا تتهيّأ له في صورة امرأة هندية ضعيفة البنية، وأحيانًا أخرى في صورة امرأة أفريقية تحمل طفلها في صرّة على ظهرها.

استقرّ على مقعد في مقهى شعبيّ ,وطلب شايًا مخلوطًا بالحليب، وكانت أصوات أغان و موسيقا هندية تملأ المكان، وتصل إلى كلّ دكاكين السوق، وعلى مدّ النظر كانت تلوح أبنية عالية وأضواء ساطعة ولوحات إعلانية مبهرة لوجوه نسائية فاتنة، وعلامات تجارية لتلفزيونات وتلفونات محمولة وأفلام وثلّاجات وغسّالات.

تذكّر والده المتوفّى من أربعين عامًا، وكيف عاش بعده في منزل سالم بن حميد خادمًا يجيد تحضير القهوة وتقديمها للضيوف, لم يكن عمره وقتها يزيد على ثلاثة عشر عامًا، وكبر هناك وسط أطفال سالم كأنّه واحد منهم . وحينما سافر سالم إلى الهند للعلاج، صحبه معه لخدمته، واستخرج له جواز سفر، ليصبح بعدها اسمه خميس بن سالم .

تزوج خميس, وخلّف عشرة أولاد وبنات, تعلّموا في مدارس نظامية,

وها هم يكدّون، ويعملون، ولديهم رزق وفير.

قبل أن يتوفى والده، سأله الابن عن بلده الأصليّ وأهله ,روى له أنّ جدّه لقي حتفه غارقًا في نهر بعد أن اتّهم بسرقة بقرة، و تفرّق الأولاد في أرض الزنج، بعضهم وصل إلى زنجبار، وآخرون إلى جزر مابوتي، كما روى له كيف وصل على مركب صيادين إلى خورفكان قصص كثيرة، سمعها من والده، لكن الذاكرة تداريها، وتدفع بها إلى غياهب النسيان مثل كل خبايا هذه المدينة وأسرارها التي كانت منقوشة على الجدران الطينية ورمال الشاطئ.

....

أبناء خميس لا يعرفون إلّا أنّ جدّهم اسمه سالم، ولا يجدون ضرورة للبحث عن الجذور، وحينما يغادر خميس دنيا الفناء يبدأ التاريخ من جديد..

ملحق بأعضاء الملتقى في أثناء إعداد الكتاب

(مع حفظ الألقاب)

من الإمارات

1 إبراهيم العابد
2 إيمان اليوسف
3 أسماء صديق المطوع
4 أميرة بوكدرة
5 بدرية الشامسي
6 بلال البدور
7 حارب الظاهري
8 حسن النجار
9 خالد الظنحاني
10 ذياب المزروعي
11 رفيعة غباش
12 زكي نسيبة
13 شهاب غانم
14 شيخة المطيري

15 شيماء المرزوقي

16 طلال الجنيبي

17 طلال سالم

18 عبد الحكيم الزبيدي

19 عبد الله محمد السبب

20 علي عبيد الهاملي

21 محمد صالح بداه

22 محمد عبد الله نور الدين

23 محمود محمد نور

24 مريم الهاشمي

25 نادية النجار

26 ناصر الظاهري

27 نايف الهريس

28 هنوف محمد

29 يوسف الحسن

من البحرين

30 صفاء العلوي

31 عبدالحميد القائد

من الجزائر

32 بن عيسى بطاهر

33 شادية شقروش

34 محمد الدراجي

من السعودية

35 أحلام منصور الحميّد القحطاني

36 أحمد يحي الغامدي

37 أمل عايد الأحمدي

38 ثريا العريض

39 جاسم الصحيح

40 محمد الجلواح

41 ميسون أبوبكر

42 نادية عبدالوهاب خوندنة

43 نعيمة أحمد الغامدي

من السودان

44 الصديق عمر الصديق

45 عبد القادر الكتيابي

46 عمر أحمد قدور

من سوريا

47 جميل داري

48 رائد الحاج

49 رياض نعسان آغا

50 مصطفى النجار

51 موسى الحالول

52 نادية داغستاني طرابيشي

من سلطنة عُمان

53 سعيد الصقلاوي

54 محمد قراطاس

من العراق

55 إياد عبد المجيد

56 ساجدة الموسوي

57 شاكر نوري

59 غانم جاسم السامرائي

59 وصال العلاق

من فلسطين والأردن

60 إبراهيم السعافين

61 عمر عتيق

62 محمد مقدادي

63 نجاة الفارس

64 نصر بدوان

65 نوال حلاوة

من الكويت

66 طارق فخر الدين

من لبنان

67 إخلاص فرنسيس

68 عدنان قداحة

69 وائل الجشي

من مصر

70 أحمد عفيفي

71 ثريا العسيلي

72 حسن شهاب الدين

73 زكريا أحمد عيد

74 عبد الوهاب قتاية

75 محمد أبو الفضل بدران

76 محمد مصطفى أبو شوارب

من المغرب

77 حسن الأمراني

78 محمد الرباوي

من الهند

79 مجيب أدفاني

من اليمن

80 أحمد مقبل المنصوري

81 عزيز ثابت

82 نجيب باوزير

83 همدان دماج

84 وليد الزيادي

الفهرس

العنوان	الكاتب	الصفحة
إهداء		5
مقدّمة		7
القرنفلُ	إخلاص فرنسيس	11
الدروازة	ثريا العريّض	17
حَدَثَ على أريكة الزّفاف	جاسم الصحيّح	23
ساعة ومرآة بيضاء	حارب الظاهري	29
الصرصور والعصفور	رياض نعسان آغا	35
الإكسير.. ربما	شاكر نوري	39
الرّاتب	شهاب غانم	51
كلّ شيء على ما يرام	شيماء المرزوقي	57
أكرم من حاتم	عبد الحكيم الزبيدي	67
صاحب اللحية البيضاء	عبد الحميد القائد	73
حكاية الليلة الأخيرة	عبدالله محمد السبب	77
سنذهب للتسوّق الليلة	عزيز ثابت سعيد	83
فنجان آخر من القهوة	علي عبيد الهاملي	93

العنوان	الكاتب	الصفحة
نُورْبَرْت لاي	محمد أبو الفضل بدران	99
حليمة التي أكلها البحر	محمد مقدادي	107
عن روح يوسف	موسى الحالول	111
حجر الرغبة	ناصر الظاهري	117
جبل بلال	نجاة الفارس	135
العمليّة	نجيب سعيد باوزير	139
ذبحة صدرية	نصر بدوان	147
النحلة	نوال حلاوه	153
نصف ساعة ضجر	همدان زيد دماج	157
الشحنـة	وليد الزيادي	161
جذور	يوسف الحسن	169
ملحق بأعضاء الملتقى		173
الفهرس		179

هذا هو الكتاب الثالث الذي يصدر عن "منتدى الشعراء والكتاب" الذي تأسّس في مارس 2017م كمجموعة في "واتس أب" - أو ما يترجم لدى البعض بالوثاب- تضمّ حاليا نحو 85 شاعرًا وأديبًا ومثقّفًا معروفًا وشخصيّة عامّة من الذكور والإناث.

وقد أصدر المنتدى في فبراير 2019 ما نعتقد أنه أول كتاب يصدر ورقيًّا عن مجموعة وثاب، وكان بعنوان "شموع ذات ألوان" شارك فيه 33 شاعرًا من أعضاء المنتدى بثلاث وثلاثين قصيدة نشرت مع ترجمات لها بالإنجليزية قام بها الأعضاء. ثم أصدر المنتدى في أكتوبر 2019 الكتاب الورقي الثاني بعنوان "إبداعات عربية في التسامح والسلام" وضم مقالات وقصائد وترجمات لقصائد أجنبية وقد كانت هناك 36 مشاركة من الأعضاء.

وهذا هو الكتاب الثالث بعنوان "مرفأ الحكايات" ويضم 24 قصة قصيرة باللغة العربية لأربعة وعشرين عضوًا من مختلف البلدان العربية، مرتبة أبجديًا حسب الاسم الأول للكاتب. وتختلف القصص في طولها وموضوعاتها والمدارس الأدبية التي تنتمي إليها

9 789948 250494

نبطي للنشر

naba6i.p@gmail.com

www.naba6i.com

naba6i